سلسلة الخلفاء



محمود شاكر

المكتب الإسلامي

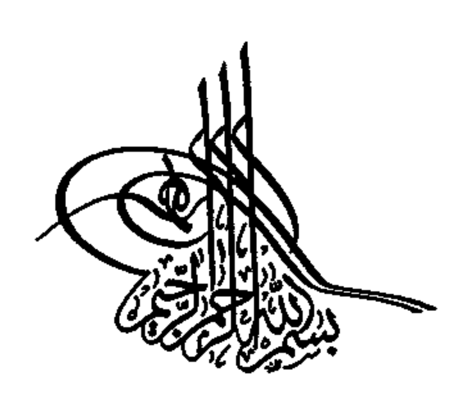
الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠ (٠٥)
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥

عُمر بن عبد العزيز
وأسرته


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله، محمد بن عبد الله، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين **وَبَعْد**:

فإنه ما من خليفةٍ بعد الخلفاء الراشدين إلا ووُجِّهت إليه سهام مسمومة بالحقّ وبالباطل، كثيرة أحياناً إن كان الخليفة ذا أثرٍ، وقليلة إن كان لا أثر له، قد تُركّز على اللهو والفساد، وقد تحمل البغي والظلم، وربما كانت العصبية الجاهلية سمّ تلك السهام.

وتكسّرت السهام أيام عمر بن عبد العزيز، وتوقّفت سقاية السمّ لها إذ حاور الخوارج ودحض حجتهم فسكنوا، وردّ المظالم فطابت النفوس، وعطف على المبعدين وأظهر حبّه لهم اعترافاً بمكانتهم، وتقديراً لفضلهم فارتاح المجتمع وصَفَا، وبذل جهده في خدمة الرعية والسهر على مصالح الأمة فقدّر الناس له ذلك، وكانت خلافته الهادئة، الآمنة،

السعيدة المطمئنة، المطبّقة للعدل، وعُدّ عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، فيقول سفيان الثوري: أئمة العدل خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز، من قال غير هذا فقد اعتدى.

غير أن الأعداء من حملة السلاح علينا إن تكسّرت سهامهم أيام خلافته إلا أنهم قد جعلوا هذه الخلافة سهاماً وُجّهت على العهد كله فزعموا أن أهل بيته لم تعجبهم مسيرته فدسّوا له السّم، وقضوا عليه، ولم يتجاوز الأربعين من عمره، إذ جُبل أصحاب العهد على البغي والمظالم، والعصبية والأحقاد. فالأعداء لا يرون إلا السوء، ولا ينظرون إلا بعين الكراهية، ولا يسمعون إلا بأذن الشرّ، ولا يحلّلون إلا بصدى الباطن المغرض، لذا لم ينج منهم عهد، ولم يسلم منهم خليفة، إنهم أعداء الإسلام وليسوا خصوم رجالٍ وعهودٍ، إنهم ينفثون السّم في كل عهدٍ، وكل خليفة، وإذا نجا منهم عمر بن عبد العزيز، فذلك ليدّعوا عدلهم وحقهم فيما يدوّنون ويتكلمون أي أنهم ينصفون وينطقون بالحق - حسب افتراءاتهم.

كان عمر بن عبد العزيز يمضي نهاره دون كللٍ

لخدمة الرعية التي ائتمن عليها، ويتابع عمله في سهر الليالي ليرعى شؤون الأمة التي كُلّف برئاستها. هذا العمل المتواصل والتعب المستمر قد أنهك جسمه. وإن خوفه من السؤال يوم الحساب يوم لا ينفع مال ولا بنون إن قصّر فيما أُوكل إليه فالرعية كلها تخاصمه ورسول الله ﷺ حجيجه، والله سبحانه وتعالى هو الحكم، وهو أعدل العادلين، هذا التصور المستمر والخشية الدائمة أتعبت فكره، وأتلفت أعصابه فأسرع إليه أجله بإذن الله، والأجل مقدّر لا يتقدم ساعة ولا يتأخر ساعة.

إن عمر بن عبد العزيز عاش مع الرعية فسوّى بين أفرادها، وأعطى فأنصف، وحكم فعدل. خشي الظلم، وابتعد عن التمييز، وخاف دعوة المظلوم، وسعى بالرفق، وهاب الموقف يوم العرض الأعظم، ولطالما تصوّر ذلك فبكى وبكى حتى يُغشى عليه، ولهذا عُدّ من الصالحين المصلحين.

قال أحمد بن حنبل: يروى في الحديث أن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يُصحّح لهذه الأمة دينها، فنظرنا في المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز، ونظرنا في المائة الثانية فنراه الشافعي.

ونقدم سيرة هذا الخليفة الصالح إلى الذين يريدون الإصلاح، والذين يحبون الخير، والذين يسعون لخدمة أمتهم، وإلى الذين يعملون للتزوّد في سبيل الوصول إلى إعمار سكنٍ دائمٍ في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

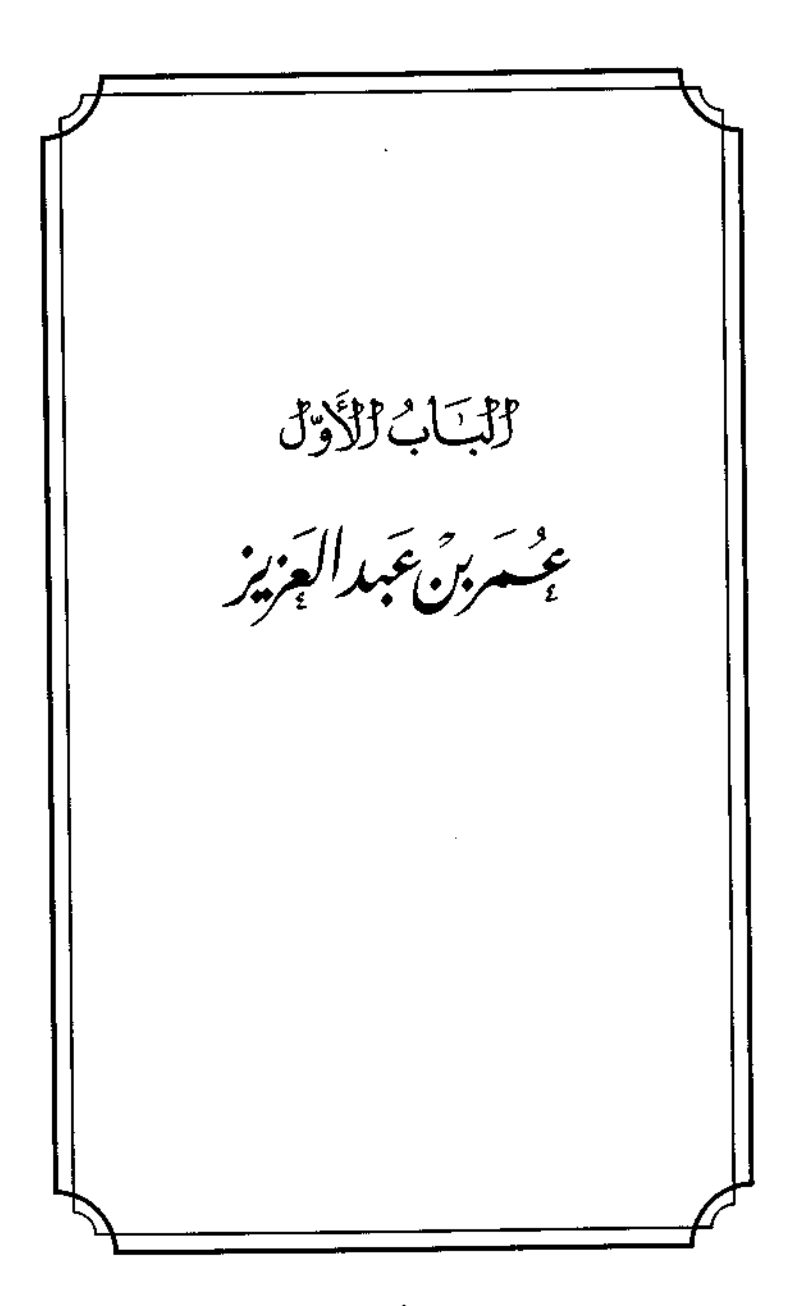
ونرجو الله أن نوفّق في إعطاء صورةٍ صادقةٍ عن هذا الخليفة، وما نريد إلا الإصلاح ما استطعنا، وما نرغب إلا في الخير ما أمكنا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

غرة جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ.

٢١ أيلول ١٩٩٨ م.

محمود شاكر



الباب الأول

عمر بن عبد العزيز

الفصل الأول

عمر بن عبد العزيز قبل الخلافة

ولد عمر بن عبد العزيز في المدينة المنورة سنة ثلاثٍ وستين، وهي السنة التي ماتت فيها ميمونة زوج النبي ﷺ[1][2]. وقيل: إن

(١) الطبقات الكبرى: ابن سعد.

(٢) ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة. وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة بن جرش.

كان مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي تزوج ميمونة في الجاهلية، ثم فارقها فخلف عليها أبو رهم بن عبد العزى بن أبي قيس من بني مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، فتوفي عنها، فتزوجها رسول الله ﷺ، زوّجه إياها العباس بن عبد المطلب، وكان يلي أمرها، وهي أخت أم ولده أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية لأبيها وأمها، وتزوجها رسول الله ﷺ بـ «سَرِف» على عشرة أميال من مكة، وكانت آخر امرأةٍ تزوجها رسول الله ﷺ، وذلك سنة سبعٍ في عمرة=

الأعمش[1]، وهشام بن عروة[2]، وعمر بن عبد العزيز،

= القضية، في شهر شوال. لما أراد رسول الله ﷺ، الخروج إلى مكة عام القضية بعث أوس بن خولي وأبا رافع إلى العباس فزوّجه ميمونة، فأضلاّ بعيريهما فأقاما أياماً ببطن رابغ حتى أدركهما رسول الله ﷺ بـ(قديد) وقد ضمّا بعيريهما، فسارا معه حتى قدم مكة، فأرسل إلى العباس فذكر ذلك له، وجعلت ميمونة أمرها إلى رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ منزل العباس، فخطبها إلى العباس، فزوجها إياه. وبنى بها رسول الله ﷺ، وهو عائد إلى المدينة بعد انتهاء العمرة وذلك بـ(سَرِف). وكان اسمها «برة» فسمّاها رسول الله ﷺ «ميمونة». وتوفيت في مكة سنة ثلاث وستين، ودفنت بـ(سَرِف) وصلى عليها ابن أختها عبد الله بن عباس.

وشقيقتاها: لبابة زوج العباس، وعصماء زوج الوليد أم خالد بن الوليد.

وأختاها لأمها: أسماء بنت عميس زوج جعفر بن أبي طالب، وسلمى بنت عميس زوج الحمزة بنت عبد المطلب.

(١) الأعمش: سليمان بن مهران، أبو محمد الأسدي، مولى بني أسد، الكوفي، الحافظ، شيخ المقرئين والمحدثين. أصله من الري، ولد بقرية من أعمال طبرستان سنة إحدى وستين، وقدموا به إلى الكوفة طفلاً. رأى أنس بن مالك وروى عنه، كما روى عنه كثير من التابعين أمثال سعيد بن جبير، ومجاهد، والشعبي و. . . وتوفي الأعمش في شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين ومائة، وهو ابن ستٌ وثمانين سنة.

(٢) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام. ولد سنة إحدى وستين، سمع من أبيه، وعمه عبد الله بن الزبير، وزوجته أسماء بنت=

وطلحة بن يحيى ولدوا سنة مقتل الحسين يعني سنة إحدى وستين، وكذلك قال خليفة بن خياط وغير واحدٍ في مولده.

في دمشق:

وعندما انتقل بنو أمية من المدينة إلى الشام سنة أربعٍ وستين قبل وقعة الحرة كان عمر بن عبد العزيز طفلاً معهم، وأخيراً استقروا بدمشق.

وسار والده عبد العزيز إلى مصر، وتمكّن من أخذها من نائب عبد الله بن الزبير عليها عبد الله بن جحدر، فدخلها، وأقام بها، وبقي عمر بن عبد العزيز بدمشق تحت رعاية عمه عبد الملك، وقد جعل له ألف دينارٍ كل شهر. ثم طلبه أبوه فقدم إليه، وأقام عنده في مصر.

في مصر:

دخل عمر بن عبد العزيز. وهو صغير، اصطبل

= عمه المنذر، وأخيه عبد الله بن عروة. وتوفي ببغداد سنة ست وأربعين ومائة، وهو ابن خمس وثمانين سنة، وصلى عليه أبو جعفر المنصور.

أبيه، فضربه فرس فشجّه، فجعل أبوه يمسح عنه الدم، ويقول: إن كنت أشجّ بني أمية إنك إذن لسعيد.

وبكى عمر بن عبد العزيز، وهو غلام، فأرسلت إليه أمه، وقالت: ما يبكيك؟ قال: ذكرت الموت، وكان يومئذٍ قد جمع القرآن، فبكت أمه حين بلغها ذلك.

وبنى عبد العزيز بن مروان بلدة حلوان، ولما أراد أن ينتقل إليها، طلب منه ابنه عمر أن يُرحّل إلى المدينة، فهو خير إذ يلتقي هناك بعلمائها، ويأخذ منهم. وقد وافق عمّ أمه عبد الله بن عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما على ذلك.

في المدينة:

بعث عبد العزيز بن مروان ابنه عمر إلى المدينة يتأدب بها، وكتب إلى صالح بن كيسان[1] يتعاهده، وكان

---

(١) صالح بن كيسان: الإمام الحافظ الثقة، أبو محمد، ويقال: أبو الحارث، المدني، المؤدب، مولى بني غفار، ويقال: مولى بني عامر، ويقال: مولى آل معيقيب الدوسي، إذ كان مولى امرأة من دوس، وكان عالماً ضمّه عمر بن عبد العزيز إلى نفسه، وهو أمير المدينة، فكان يأخذ عنه، ثم بعث إليه الوليد بن عبد الملك فضمه إلى ابنه عبد العزيز بن الوليد. كان صالح جامعاً من الحديث والفقه والمروءة، وهو ثقة، ويعدّ في=

يلزمه الصلوات، فأبطأ يوماً عن الصلاة، فقال: ما حبسك؟ قال: كانت مرجلتي تُسَكِّن شعري، فقال: بلغ من تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة، وكتب بذلك إلى والده، فبعث عبد العزيز رسولاً إليه فما كلمه حتى حلق شعره.

وكان عمر بن عبد العزيز يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يسمع منه العلم، فبلغ عبيد الله أن عمر ينتقص علياً، فأقبل عليه، فقال: متى بلغك أن الله تعالى سخط على أهل بدرٍ بعد أن رضي عنهم، فعرف عمر ما أراد عبيد الله، فقال: معذرةً إلى الله وإليك، لا أعود. فما سُمع عمر بعدها ذاكراً علياً، رضي الله عنه، إلا بخيرٍ. وكان في المدينة من أحسن الناس لباساً، ومن أطيب الناس ريحاً، ومن أكثر الناس خيلاء في مشيته. واشتهر بالمدينة بالعلم والعقل مع حداثة سنه.

عن ميمون بن مهران[1] أنه قال: أتينا عمر بن

= التابعين. مات صالح بعد الأربعين والمائة، وقبل مخرج محمد بن عبد الله بن حسن (ذي النفس الزكية).

(١) ميمون بن مهران: الإمام الحجة، عالم الجزيرة ومفتيها، أبو أيوب الجزري الرقي: أعتقته امرأة من بني نصر بن معاوية بالكوفة، فنشأ بها، ثم سكن الرقة. ولد سنة أربعين، وحدّث=

عبد العزيز، ونحن نرى أن يحتاج إلينا، فما كنا معه إلا تلامذةً.

لما حجّ عبد العزيز بن مروان اجتاز به في المدينة، فسأل مؤدبه صالح بن كيسان عنه، فقال: ما خبرت أحداً الله أعظم من صدره من هذا الغلام.

العودة إلى دمشق:

توفي عبد العزيز بن مروان والد عمر سنة خمس وثمانين في مصر، فدعا الخليفة عبد الملك ابن أخيه عمر إلى دمشق، فسار إليها. وحين خرج من المدينة التفت إليها، فبكى، ثم قال: يا مزاحم نخشى أن نكون ممن نفت المدينة (أشار إلى قول النبي ﷺ، في صفة المدينة: تنفي خبثها)(١).

= عن أبي هريرة، وعائشة، وابن عباس، وابن عمر، والضحاك بن قيس الفهري، وأم الدرداء، وعمرو بن عثمان، وعمر بن عبد العزيز، ونافع، ويزيد بن الأصم، وأرسل عن عمر والزبير.
ولي خراج الجزيرة وقضاءها لعمر بن عبد العزيز، وتوفي سنة سبع عشرة ومائة.

(١) عن قطن بن وهب بن عمير بن الأجدع: أن يُحَنَّسَ مولى الزبير بن العوام أخبره، أنه كان جالساً عند عبد الله بن عمر بن الخطاب=

وقال عمر بن عبد العزيز: خرجت من المدينة وما من رجل أعلم مني، فلما قدمت الشام نسيت.

وفي دمشق أعجب عبد الملك بذكاء ابن أخيه ونباهته، فخلطه بولده، وقدّمه على كثيرٍ منهم، وزوّجه بابنته فاطمة.

وتوفي عبد الملك بن مروان في منتصف شوال

= في الفتنة فأتته مولاة له تُسلّم عليه، فقالت: إني أردت الخروج يا أبا عبد الرحمٰن، اشتدّ علينا الزمان، فقال لها عبد الله بن عمر: اقعدي لكاع، فإني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً - أو شهيداً - يوم القيامة».

عن جابر بن عبد الله: أن أعرابياً بايع رسول الله ﷺ، على الإسلام فأصاب الأعرابي وعك بالمدينة، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أقلني بيعتي، فأبى رسول الله ﷺ، ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي، فأبى، ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي، فأبى، فخرج الأعرابي، فقال رسول الله ﷺ: «إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها».

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد».

عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يخرج أحد من المدينة رغبةً عنها إلا أبدلها الله خيراً منه». الموطأ: باب في سكنى المدينة والخروج منها.

سنة ستٍّ وثمانين بدمشق، وصلّى عليه ابنه الوليد.
واستخلف الوليد بن عبد الملك بعهدٍ من أبيه.

إمرة المدينة:

كان أمير المدينة في أول خلافة الوليد هو هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي منذ سنة اثنتين وثمانين، فعزله الوليد ليلة الأحد لسبع ليالٍ خلون من شهر ربيع الأول سنة سبعٍ وثمانين، وولى مكانه عمر بن عبد العزيز، وهو ابنُ خمسٍ وعشرين سنة.

قدم عمر بن عبد العزيز إلى المدينة على ثلاثين بعيراً، فنزل دار جدّه مروان بن الحكم، فدخل الناس وسلّموا عليه، فلما صلّى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة:

عروة بن الزبير[1]، وعبيد الله بن عبد الله بن

---

(1) عروة بن الزبير بن العوام، أبو عبد الله: أحد فقهاء المدينة السبعة، أمه أسماء بنت أبي بكر، وخالته أم المؤمنين عائشة، وجدته صفية بنت عبد المطلب، عمة رسول الله ﷺ.
ولد عروة سنة ثلاثٍ وعشرين، شهد مصرع عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وكان غلاماً، قال: وقفت وأنا غلام أنظر إلى=

عتبة[1]، وأبا بكر بن. . . . .

= الذين حصروا عثمان رضي الله عنه، وقد مشى أحدهم على الخشبة ليدخل إلى عثمان فلقيه عليها أخي (عبد الله بن الزبير) فضربه ضربةً طاح قتيلاً على البلاط، فقلت لصبيان معي: قتله أخي. فوثب عليّ الذين حصروا عثمان، فكشفوني، فوجدوني لم أنبت فخلّوني.

روى عروة عن أبيه الزبير، وأمه أسماء، وخالته عائشة، وعن أم سلمة، وعن علي بن أبي طالب، وسعيد بن زيد، وجابر بن عبد الله، والحسن، والحسين، ومحمد بن مسلمة، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، وأبي هريرة، وأبي أيوب الأنصاري، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عمر، وقيس بن سعد بن عبادة، وحكيم بن حزام، وأم هانئ بنت أبي طالب. وروى عنه كثير من التابعين.

كان عروة ثقةً، ثبتاً، مأموناً، كثير الحديث، فقيهاً، عالماً.

قدم عروة على عبد الملك بن مروان بدمشق، فأجلسه معه على السرير.

كان عروة يقرأ كل يوم ربع القرآن، ويقوم به الليل.

حفر بئر «عروة» بالمدينة، وما بالمدينة أعذب من مائها.

وتوفي عروة سنة أربع وتسعين - رحمه الله.

(١) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أبو عبد الله الهذلي، المدني، أخو المحدّث عون، وجدهما عتبة بن مسعود أخو عبد الله بن مسعود. كان عبيد الله إماماً، فقيهاً، مفتي المدينة وعالمها، وأحد الفقهاء، السبعة فيها. مؤدب عمر بن عبد العزيز. روى عن عائشة، وأبي هريرة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن=

عبد الرحمٰن[1]، وأبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة[2]، وسليمان بن يسار[3]، والقاسم بن

= عمر، وأبي سعيد الخدري، والنعمان بن بشير، وعن أم المؤمنين ميمونة، وأم المؤمنين أم سلمة، وروى عنه: أخوه عون، والزهري، وصالح بن كيسان، وأبو الزناد... ومات عبيد الله سنة ثمان وتسعين.

(١) أبو بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أبو عبد الرحمٰن، الإمام، أحد الفقهاء السبعة في المدينة: كان ضريراً، واسمه كنيته، حدّث عن أبيه، وعمار بن ياسر، وأبي هريرة، وعائشة، وأم سلمة وأسماء بنت عميس، وحدّث عنه ابناه عبد الله وعبد الملك، والزهري، وعمر بن عبد العزيز، وعكرمة بن خالد. ويقال له: راهب قريش لكثرة صلاته. وهو تابعي ثقة. ولد في خلافة الفاروق، ومات سنة أربع وتسعين.

(٢) أبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب، وأمه أمة الله بنت المسيب بن صيفي بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

سمع أبو بكر بن سليمان من سعد بن أبي وقاص، وروى عنه الزهري.

(٣) سليمان بن يسار: مولى أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية، وأخو عطاء بن يسار، وعبد الملك، وعبد الله. ولد في خلافة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، هو الإمام الفقيه، عالم المدينة، ومفتيها، أبو أيوب، وقيل: أبو عبد الرحمٰن، وأبو عبد الله.
=

محمد[1]، وسالم بن عبد الله[2]، وخارجة بن

= حدّث عن زيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة، وحسان بن ثابت، ورافع بن خديج، وعن أمهات المؤمنين: عائشة، وأم سلمة، وميمونة، وعن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ، والمقداد بن عمرو.
وحدّث عنه الزهري، وأخوه عطاء بن يسار، وعمرو بن دينار، وربيعة الرأي، وأبو الزناد، وصالح بن كيسان، كان سليمان ثقةً، مأموناً، فاضلاً عابداً، عالماً، فقيهاً، كثير الحديث، مات سنة سبع ومائة. وكان أبوه يسار فارسياً.

(1) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أبو محمد، وأبو عبد الرحمٰن، البكري، التيمي، المدني، الإمام، القدوة، الحجة، عالم وقته بالمدينة. وأمه أم ولد يقال لها «سودة»، ولد في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ورُبّي في حجر عمته أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، وتفقه منها، وأخذ عنها، وعن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأبي هريرة.
وحدّث عنه ابنه عبد الرحمٰن، والشعبي، ونافع، والزهري، وربيعة الرأي، وصالح بن كيسان، وابن أبي مليكة. ولد بالمدينة، وتوفي بـ«قديد» بين مكة والمدينة سنة ستٍ ومائة.

(2) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب: الإمام الزاهد، الحافظ، مفتي المدينة، أبو عمر، وأبو عبد الله القرشي، العدوي، المدني، أمه أم ولد، وهو والقاسم بن محمد ابنا خالة، ولد في خلافة عثمان بن عفان، رضي الله عنه.
كان أهل المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم الغرّ السادة: القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وسالم بن=

زيد[1]، وعبد الله بن عبد الله[2]، وعبد الله بن عامر بن ربيعة[3]، فدخلوا عليه فجلسوا، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه،

= عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وثلاثتهم أبناء خالة، ففاقوا أهل المدينة علماً، وتقىً، وورعاً، فرغب الناس حينئذٍ في السراري.

(١) خارجة بن زيد بن ثابت: الفقيه، الإمام بن الإمام، أحد الفقهاء السبعة الأعلام، النجاري، المدني، أبو زيد الأنصاري، وجده لأمه سعد بن الربيع الأنصاري أحد النقباء السادة في بيعة العقبة، فأمه أم سعد بنت سعد بن الربيع، وتوفي بالمدينة سنة تسع وتسعين.

(٢) عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب: أمه صفية بنت أبي عبيد بن مسعود الثقفي، فهي أخت المختار بن أبي عبيد، وتزوج عبد الله أم سلمة بنت المختار أي ابنة خاله، وتوفي عبد الله بن عبد الله بالمدينة في أوائل خلافة هشام بن عبد الملك، وكان ثقةً قليل الحديث.

(٣) عبد الله بن عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك: كان أبوه من حلفاء بني عدي قوم عمر بن الخطاب، وقد تبناه الخطاب، أسلم قبل عمر، وهاجر إلى الحبشة، وأول من هاجر إلى المدينة بعد أبي سلمة، وشهد بدراً، ولعبد الله أخ سمي له استشهد في حصار الطائف.

ولد عبد الله عام الحديبية. ويكنى أبا محمد. وحدّث عن أبيه، وعمر، وعثمان، وعبد الرحمٰن بن عوف. وحدّث عنه: عاصم بن عبيد الله، وابن شهاب، والزهري و . . .

وتكونون فيه أعواناً على الحق، ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو رأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحداً يتعدّى، أو بلغكم عن عاملٍ لي ظلامة، فأُحَرِّج الله على من بلغه ذلك إلا بلّغني.

فخرجوا من عنده يدعون الله أن يجزيه خيراً، وافترقوا.

بقي عمر بن عبد العزيز أميراً على المدينة حتى سنة ثلاث وتسعين، ثم عُزل عنها، وذلك لأنه كتب إلى الوليد بن عبد الملك يخبره بعسف الحجاج بن يوسف الثقفي أهل عمله بالعراق، واعتدائه عليهم وظلمه لهم بغير حقٍ ولا جنايةٍ، وأن ذلك بلغ الحجاج فثار حقده على عمر بن عبد العزيز، فكتب إلى الوليد: إن مَن قِبلي من مُرّاق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولجؤوا إلى المدينة ومكة، وإن ذلك وهن. فكتب الوليد إلى الحجاج أن أشر عليَّ برجلين، فكتب إليه يشير عليه بعثمان بن حيان[1]، وخالد بن

---

(١) عثمان بن حيان بن معبد المري، أبو المغراء، والٍ من الغزاة، من أهل دمشق، استعمله الوليد بن عبد الملك على المدينة سنة ثلاثٍ وتسعين، وكان في سيرته عنف. عزله سليمان بن عبد الملك سنة ستٍّ وتسعين. ولي الصائفة سنة ١٠٣، وغزا=

عبد الله[1]، فولّى خالداً مكة، وعثمان المدينة، وعزل عمر بن عبد العزيز.

عُزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز في شعبان سنة ثلاثٍ وتسعين، واستخلف عليها حين شخص عنها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري[2]. وقدم عثمان بن حيّان المدينة لليلتين بقيتا من شوال، فنزل بها دار مروان، وهو يقول: محلّة والله مظعان، المغرور من

= قيصرة من أرض الروم سنة ١٠٤، وهو ثقة عند أهل الحديث، وتوفي سنة خمسين ومائة.

(١) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرز البجلي، القسري، الدمشقي، أبو الهيثم: ولي مكة للوليد بن عبد الملك، ثم لسليمان، وولي العراقين لهشام بن عبد الملك، كان جواداً من نبلاء الرجال. كانت أمه نصرانيةً، وبنى لها كنيسةً. روى عن جده يزيد، وليزيد صحبة.
وعندما عزل خالد عن العراقين أتى الشام ولم يزل يغزو بها الصوائف حتى مات هشام بن عبد الملك، ثم سجنه يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين بعده، ثم أطلق سراحه، وأخيراً قتل سنة ست وعشرين ومائة أيام الوليد بن يزيد، وبأمر منه على يد يوسف بن عمر.

(٢) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الأنصاري، الخزرجي، النجاري، المدني، أمير المدينة، وقاضيها. أحد الأئمة الأثبات، قيل: كان أعلم زمانه بالقضاء، كثير العبادة والتهجّد، توفي سنة عشرين ومائة.

غُرّ بك، فاستقصى أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.

خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة، وأقام بالسويداء[1]، وهو يقول لمزاحم: أتخاف أن تكون ممن نفته طيبة.

زار أنس بن مالك، رضي الله عنه، المدينة في إمرة عمر بن عبد العزيز عليها، وصلى خلفه، فقال: ما صليت وراء إمام بعد رسول الله ﷺ، أشبه صلاةً برسول الله ﷺ، من إمامكم هذا - يعني عمر بن عبد العزيز - قال: كان عمر يتمّ الركوع والسجود، ويخفف القيام والقعود - أخرجه النسائي ٢/١٦٦.

كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر - وهو على المدينة - أن يضرب خبيب بن عبد الله بن الزبير، فضربه أسواطاً، وأقامه في البرد فمات، فكان عمر بن عبد العزيز إذا أثنوا عليه قال: فمن لي بخبيب. رحمهما الله.

---

(١) السويداء: أرض كان يملكها عمر بن عبد العزيز، واستنبط فيها من عطائه عين ماء، وله فيها قصر مبني. ولما تنازل لبيت المال عن جميع ما ورثه عن آبائه أبقى السويداء وخيبر، لأنه اطمأن إلى أنهما حلال خالص ليس فيه أية شبهة - وكان، وهو خليفة، يأكل من غلّتها، وينفق ما يريد عند الضرورة.

وحجّ عمر بن عبد العزيز بالناس ثلاث مرات وهو أمير على المدينة: سنة تسعٍ وثمانين، وسنة تسعين،، وسنة اثنتين وتسعين. أما سنة إحدى وتسعين فقد حجّ الخليفة الوليد بن عبد الملك.

قال سهيل بن أبي صالح: كنت مع أبي غداة عرفة، فوقفنا لننظر لعمر بن عبد العزيز، وهو أمير الحاج، فقلت: يا أبتاه! والله إني لأرى الله يحب عمر، قال: لِمَ؟ فقلت: لما أراه دخل له في قلوب الناس من المودة، وأنت سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إن الله قد أحبّ فلاناً فأحبّوه»[1].

الرجوع إلى دمشق:

بعد أن عُزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة رجع إلى دمشق، وأقام بها. وتوفي الوليد بن عبد الملك يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ستٍّ وتسعين، واستخلف أخاه سليمان بن عبد الملك بعهدٍ من أبيه. وكان عمر بن عبد العزيز وزير صدقٍ لسليمان بن عبد الملك.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٣٧) (١٥٧) (١٥٨).

الفصل الثاني

خلافة عمر بن عبد العزيز

قال رجاء بن حيوة[1]: لما كان يوم الجمعة لبس سليمان بن عبد الملك ثياباً خُضراً من خزٍّ، ونظر في المرآة، فقال: أنا الملك الشاب، فخرج إلى الصلاة يصلي بالناس الجمعة، فلم يرجع حتى وُعك، فلما ثقل كتب كتاب عهده لبعض بنيه، وهو غلام لم يبلغ، فقلت: ما تصنع يا أمير المؤمنين، إن مما يحفظ به الخليفة في قبره أن يستخلف الرجل الصالح. وقال

---

(١) رجاء بن حيوة بن جرول، أبو المقدام، الإمام القدوة، الوزير العادل، الكندي، الأزدي، الفلسطيني: من جلّة التابعين، ثقةً، عالماً، فاضلاً، كثير العلم.
كان سيد أهل الشام، قدم الكوفة مع بشر بن مروان، ثم رجع إلى الشام، وكان كبير المنزلة عند سليمان بن عبد الملك، وعند عمر بن عبد العزيز.
أدرك رجاء معاوية بن أبي سفيان، وتوفي في أول خلافة هشام بن عبد الملك.

سليمان: كتاب أستخير الله فيه، وأنظر، ولم أعزم عليه. فمكث يوماً أو يومين ثم خرّقه ثم دعاني فقال: ما ترى في داود بن سليمان؟ قلت: هو غائب بقسطنطينية وأنت لا تدري أحيّ هو أم ميت. قال: يا رجاء فمن ترى؟ قال: فقلت: رأيك يا أمير المؤمنين، وأنا أريد أن أنظر من يذكر. فقال: كيف ترى في عمر بن عبد العزيز؟ فقلت: أعلمه والله فاضلاً، خيّراً، مسلماً. فقال: هو على ذلك، والله لئن ولّيته ولم أولّ أحداً من ولد عبد الملك لتكوننّ فتنة، ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن أجعل أحدهم بعده. ويزيد بن عبد الملك يومئذٍ غائب على الموسم. قال: فيزيد بن عبد الملك أجعله بعده فإن ذلك مما يُسكّنهم ويرضون به. قلت: رأيك، قال: فكتب بيده: بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز، إني ولّيته الخلافة من بعدي، ومن بعده يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله ولا تختلفوا فيُطمع فيكم. وختم الكتاب وأرسله إلى كعب بن حامد العبسي صاحب شرطه، فقال: مر أهل بيتي فليجتمعوا، فأرسل إليهم كعب أن يجتمعوا فاجتمعوا، ثم قال سليمان لرجاء بعد اجتماعهم: اذهب بكتابي هذا إليهم، فأخبرهم أن هذا كتابي، ومرهم فليبايعوا من ولّيت فيه،

ففعل رجاء، فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا: ندخل فنسلّم على أمير المؤمنين؟ قال: نعم. فدخلوا، فقال لهم سليمان في هذا الكتاب ـ وهو يشير لهم إليه وهم ينظرون إليه في يد رجاء بن حيوة ـ هذا عهدي فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سمّيت في هذا الكتاب، فبايعوه رجلاً رجلاً، ثم خرج بالكتاب مختوماً في يد رجاء بن حيوة.

قال رجاء: فلما تفرّقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال: يا أبا المقدام إن سليمان كانت لي به حرمة ومودة وكان بي بَرّاً مُلْطِفاً فأنا أخشى أن يكون قد أسند إليّ من هذا الأمر شيئاً، فأُنشدك الله وحرمتي ومودتي إلا أعلمتني إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن يأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر الساعة، قال رجاء: لا والله ما أنا بمخبرك حرفاً واحداً. قال: فذهب عمر غضبان.

قال رجاء: ولقيني هشام بن عبد الملك، فقال: يا رجاء إن لي بك حرمةً ومودةً قديمةً، وعندي شكر، فأعلمني أهذا الأمر إليّ؟ فإن كان إليّ علمت، وإن كان إلى غيري تكلمت، فليس مثلي قُصّر به، ولا نُحّي به هذا الأمر، . فأعلمني فلك الله عليّ ألا أذكر من ذلك شيئاً أبداً.

قال رجاء: فأبيت وقلت: لا والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أُسِرَّ إليَّ، فانصرف هشام وهو قد يئس، ويضرب بإحدى يديه على الأخرى، وهو يقول: فإلى من إذا نُحّيت عني؟ أتخرج من بني عبد الملك؟ فوالله إني لعين بني عبد الملك.

قال رجاء: فدخلت على سليمان بن عبد الملك فإذا هو يموت، قال: فجعلت إذا أخذته سكرة من سكرات الموت حرّفته إلى القبلة، فجعل يقول حين يُفيق: لم يأن لذلك بعد يا رجاء، فعلت ذلك مرتين، فلما كانت الثالثة قال: من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئاً، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال: فحرّفته ومات، فلما أغمضته سجّيته بقطيفةٍ خضراء، وأغلقت الباب. وأرسلتْ إليَّ زوجته تقول: كيف أصبح؟ فقلت: نائم، وقد تغطّى. فنظر الرسول إليه مُغطىً بالقطيفة، فرجع فأخبرها، فقبلتْ ذلك، وظنّت أنه نائم.

قال رجاء: وأجلست على الباب من أثق به، وأوصيته ألا يبرح حتى آتيه، ولا يُدخل على الخليفة أحد. قال: فخرجت فأرسلت إلى كعب بن حامد العبسي فجمع أهل بيت أمير المؤمنين، فاجتمعوا في

مسجد دابق، فقلت: بايعوا، فقالوا: قد بايعنا مرةً ونبايع أخرى! قال: هذا عهد أمير المؤمنين، فبايعوا على ما أمر به، ومن سمّى في هذا الكتاب المختوم، فبايعوا الثانية رجلاً رجلاً.

قال رجاء: فلما بايعوا بعد موت سليمان رأيت أني قد أحكمت الأمر، قلت: قوموا إلى صاحبكم فقد مات، قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون، وقرأت عليهم الكتاب، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام بن عبد الملك: لا نبايعه أبداً، قلت: أضرب والله عنقك، قم فبايع، فقام يجرّ رجليه.

ونهض الناس إلى عمر بن عبد العزيز، وهو في مؤخرة المسجد، فلما تحقق ذلك قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. ولم تحمله رجلاه حتى أخذوا بضبعيه، فأصعدوه على المنبر، فسكت حيناً، فقال رجاء بن حيوة: ألا تقوموا إلى أمير المؤمنين فتبايعوه، فنهض القوم فبايعوه، ثم أتى هشام فصعد المنبر ليبايع، وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال عمر: نعم إنا لله وإنا إليه راجعون الذي صرت أنا وأنت نتنازع هذا الأمر.

قال رجاء: وأخذت بضَبْعَيْ عمر بن عبد العزيز فأجلسته على المنبر، وهو يسترجع لما وقع فيه، وهشام

يسترجع لما أخطأه، فلما انتهى هشام إلى عمر، قال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون حيث صارت إليَّ، لكراهته إياها، والآخر يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، حيث نُحّيت عنه. قال: وغُسّل سليمان وكُفّن، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز.

قال رجاء: فلما فُرغ من دفنه أُتي بمراكب الخلافة: البراذين، والخيل، والبغال، ولكل دابةٍ سائس، فقال: ما هذا؟ قالوا: مركب الخلافة، قال عمر: دابتي أوفق لي، فركب بغلته، وصُرفت تلك الدواب، وأقبل سائراً، فقيل: منزل الخلافة، فقال: فيه عيال أبي أيوب، وفي فسطاطي كفاية حتى يتحوّلوا، فأقام في منزله حتى فرّغوه بعد.

قال رجاء: فلما كان المساء من ذلك اليوم قال: يا رجاء ادعُ لي كاتباً، فدعوته، وقد رأيت منه كل ما سرّني، صنع في المراكب ما صنع، وفي منزل سليمان، فقلت: كيف يصنع الآن في الكتاب؟ أيصنع نُسخاً منه، أم ماذا؟ فلما جلس الكاتب أملى عليه كتاباً واحداً من فيه إلى يد الكاتب بغير نسخةٍ، فأملى أحسن إملاء وأبلغه وأوجزه، ثم أمر بذلك الكتاب أن ينسخ إلى كل بلدٍ.

وبلغ عبد العزيز بن الوليد ـ وكان غائباً ـ موت سليمان بن عبد الملك، ولم يعلم ببيعة الناس عمر بن عبد العزيز. وعهد سليمان إلى عمر، فعقد لواءً، ودعا لنفسه، فبلغته بيعة الناس عمر بعهد سليمان، فأقبل حتى دخل على عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: قد بلغني أنك كنت بايعت من قبلك، وأردت دخول دمشق، فقال: قد كان ذلك. وذلك أنه بلغني أن الخليفة سليمان لم يكن عقد لأحدٍ، فخفت على الأموال أن تُنتهب. فقال عمر: لو بويعت وقمت بالأمر ما نازعتك ذلك، ولقعدت في بيتي، فقال عبد العزيز: ما أحب أنه وُلي هذا الأمر غيرك. وبايع عمر بن عبد العزيز. قال: فكان يرجى لسليمان بتولية عمر بن عبد العزيز وترك ولده[1].

وقيل: قام عمر فخطب الناس خطبةً بليغةً، وبايعوه، فكان مما قال في خطبته: أيها الناس، إني لست بمبتدع ولكني متبع، وإن من حولكم من الأمصار والمدن إن أطاعوا كما أطعتم فأنا واليكم، وإن هم أبوا فلست لكم بوالٍ، ثم نزل، فأخذوا في جهاز سليمان، فلم يفرغوا منه حتى دخل وقت المغرب، فصلى عمر

---

(١) تاريخ الطبري، وطبقات ابن سعد.

بالناس صلاة المغرب، ثم صلى على سليمان، ودُفن بعد المغرب[1].

وحدّث رجاء بن حيوة فقال: لما ثقل سليمان بن عبد الملك رآني عمر في الدار أخرج وأدخل وأتردّد، فدعاني فقال لي: يا رجاء أُذكّرك الله والإسلام أن لا تذكرني لأمير المؤمنين أو تشير بي عليه إن استشارك، فوالله ما أقوى على هذا الأمر، فأنشدك الله إلا صرفت أمير المؤمنين عني، فانتهرته، وقلت: إنك لحريص على الخلافة لتطمع أن أُشير عليه بك، فاستحيا، ودخلت، فقال لي سليمان: يا رجاء من ترى لهذا الأمر وإلى من ترى أن أعهد؟ قلت: يا أمير المؤمنين اتق الله فإنك قادم على الله وسائلك عن هذا الأمر، وما صنعت فيه. قال: فمن ترى؟ فقلت: عمر بن عبد العزيز. قال: كيف أصنع بعهد أمير المؤمنين عبد الملك إلى الوليد وإليّ في ابنيْ عاتكة أيهما بقي؟ قلت: تجعل من بعده. قال: أصبت ووُفّقت، جئني بصحيفةٍ، فأتيته بصحيفةٍ فكتب عهد عمر ويزيد من بعده وختمها، ثم دعوت رجالاً فدخلوا عليه فقال لهم: إني قد عهدت

---

(١) البداية والنهاية.

عهدي في هذه الصحيفة، ودفعتها إلى رجاء، وأمرته أمري وهو في الصحيفة، اشهدوا واختموا الصحيفة، فختموا عليها وخرجوا، فلم يلبث سليمان أن مات فكففت النساء عن الصياح، وخرجت إلى الناس فقالوا: يا رجاء كيف أمير المؤمنين؟ فقلت: لم يكن منذ اشتكى أسكن منه الساعة، . قالوا: لله الحمد. فقلت: ألستم تعلمون أن هذا عهد أمير المؤمنين وتشهدون عليه؟ قالوا: بلى، قلت: أفترضون به؟ قال هشام: إن كان فيه رجل من ولد عبد الملك وإلا فلا. قلت: فإنْ فيه رجل من ولد عبد الملك؟ قال: فنعم إذن. قال: فدخلت فمكثت ساعةً، ثم قلت للنساء: اصرخن، وخرجت فقرأت الكتاب والناس مجتمعون وعمر في ناحية الرواق.

قُرئ عهد عمر بعد وفاة سليمان بالخلافة وعمر ناحيةً، وهو بدابق، فقام رجل من ثقيف يقال له سالم من أخوال عمر، فأخذ بضبعه فأقامه، فقال عمر: أما والله ما الله أردتَ بهذا، ولن تصيب بها مني دنيا.

لما ولي عمر خطب الناس، وفُرش له، فنزل، وترك الفرش، وجلس ناحيةً، فقيل: لو تحوّلت إلى حجرة سليمان، فتمثّل:

فلولا التقى ثم النهى خشية الردى

لعاصيت في حب الصبا كل زاجر

قضى وما قضى فيما مضى ثم لا ترى

له صبوةً أخرى الليالي الغوابر

كان أول ما أُنكِرَ من عمر بن عبد العزيز أنه لما دُفن سليمان بن عبد الملك أُتي بدابة سليمان التي كان يركب فلم يركب، وركب دابته التي جاء عليها، فدخل القصر وقد مهدت له فرش سليمان التي كان يجلس عليها فلم يجلس عليها، ثم خرج إلى المسجد فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإنه ليس بعد نبيّكم نبيّ ولا بعد الكتاب الذي أُنزل عليه كتاب، ألا إن ما أحلّ الله حلال إلى يوم القيامة، وما حرّم الله حرام إلى يوم القيامة، ألا إني لست بقاضٍ ولكنني مُنفّذ، ألا إني لست بمبتدعٍ ولكني متبع، ألا إنه ليس لأحدٍ أن يُطاع في معصية الله، ألا إني لست بخيركم ولكني رجل منكم غير أن الله جعلني أثقلكم حملاً.

لما انصرف عمر عن قبر سليمان قيل: إن دواب سليمان قد عرضت له، قال: فكثّر ثم أشار إلى بُغيلة شهباء فأُتي بها فركبها، قال: فانصرف فإذا فُرُش سليمان في منزله، فقال: لقد عجّلتم ثم تناول وسادةً أرمنيةً

فطرحها بينه وبين الأرض، ثم قال: أما والله لولا أني في حوائج المسلمين ما جلست عليك.

ما زال عمر بن عبد العزيز يردّ المظالم منذ يوم استخلف إلى يوم مات.

عن عبد المجيد بن سهيل قال: رأيت عمر بن عبد العزيز بدأ بأهل بيته. فردّ ما كان بأيديهم من المظالم، ثم فعل بالناس بعد.

● قال عمر بن الوليد: جئتم برجل من آل ولد عمر بن الخطاب فولّيتموه عليكم ففعل هذا بكم.

● لما ردّ عمر بن عبد العزيز المظالم قال: إنه لينبغي أن لا أبدأ بأول من نفسي. فنظر إلى ما في يديه من أرضٍ أو متاعٍ فخرج منه حتى نظر إلى فصّ خاتمٍ فقال: هذا مما كان الوليد بن عبد الملك أعطانيه مما جاءه من أرض المغرب، فخرج منه.

● عن إسحاق بن عبد الله قال: ما زال عمر بن عبد العزيز يردّ المظالم من لدن معاوية إلى أن استخلف. أخرج من أيدي ورثة معاوية ويزيد حقوقاً.

● ردّ المظالم في بيوت الأموال فردّ ما كان في بيت المال وأمر أن يزكي لما غاب عن أهله من السنين،

ثم عقب بكتابٍ آخر: إني نظرت فإذا هو ضِمار لا يزكّي إلا لسنةٍ واحدةٍ.

● عن عبد الرحمٰن بن أبي الزناد عن أبيه: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز بالعراق في ردّ المظالم إلى أهلها فرددناها حتى أنفذنا ما في بيت مال العراق، وحتى حمل إلينا عمر المال من الشام.

● قال أبو الزناد: وكان عمر يردّ المظالم إلى أهلها بغير البيّنة القاطعة، كان يكتفي بأيسر ذلك، إذا عرف وجهاً من مظلمة الرجل ردّها عليه، ولم يكلّفه تحقيق البينة لما كان يعرف عنه من غشم الولاة.

● عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: ما كان يقدم على أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كتاب من عمر إلا فيه ردّ مظلمةٍ، . أو إحياء سنةٍ، أو إطفاء بدعةٍ، أو قَسْم، أو تقدير عطاءٍ، أو خير حتى خرج من الدنيا.

● عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: كتب إلي عمر بن عبد العزيز أن استبرئ الدواوين فانظر إلى كل جورٍ جاره من قبلي من حق مسلمٍ أو معاهدٍ، فرُدّه عليه، فإن كان أهل تلك المظلمة قد ماتوا فادفعه إلى ورثتهم.

● عن موسى بن عبيدة قال: سمعت كتاب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: وإياك والجلوس في بيتك، اخرج للناس فآس بينهم في المجلس والمنظر، ولا يكن أحد من الناس آثَرَ عندك من أحدٍ، ولا تقولنَّ هؤلاء من أهل بيت أمير المؤمنين فإن أهل بيت أمير المؤمنين وغيرهم عندي اليوم سواء بل أنا أحرى أن أظنّ بأهل بيت أمير المؤمنين أنهم يقهرون من نازعهم، وإذا أشكل عليك شيء، فاكتب إليّ فيه.

● عن إسماعيل بن أبي حكيم قال: أتى عمر بن عبد العزيز كتاب من بعض بني مروان فأغضبه، فاستشاط غضباً ثم قال: إن لله في بني مروان ذبحاً، وأيم الله لئن كان ذاك الذبح على يديَّ قال: فلما بلغهم ذلك كفّوا، وكانوا يعلمون صرامته، وأنه إن وقع في أمرٍ مضى فيه.

● جاء بنو مروان إلى عمر فقالوا: إنك قصَّرت بنا عمّا كان يصنعه بنا من قبلك، وعاتبوه، فقال: لئن عدتم لمثل هذا المجلس لأشدّن ركابي ثم لأقدمنّ المدينة ولأجعلنّها أو أصيّرها شورى، أما إني أعرف صاحبها الأعيمش، يعني القاسم بن محمد بن أبي بكرٍ الصديق.

● أخبرنا علي بن محمد، عن سلمة بن عثمان القرشي قال: بلغني أن عمر بن عبد العزيز لما استخلف

نظر إلى ما كان له من عبدٍ، وإلى لباسه وعطره وأشياء من الفضول، فباع كل ما كان به عنه غنىً فبلغ ثلاثة وعشرين ألف دينار فجعله في السبيل.

● أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنا عبد الرحمٰن بن عبد العزيز، قال: أخبرنا ابن لعمر بن عبد العزيز أنه أخبره خادم عمر بن عبد العزيز أنه لم يتملأ من طعامٍ من يوم وُلي حتى مات.

● عن محمد بن قيس قال: لما ولي عمر بن عبد العزيز وضع المكس عن كل أرضٍ، ووضع الجزية عن كل مسلمٍ.

● لمّا استخلف عمر بن عبد العزيز أباح الأحماء[1] كلها إلا النقيع[2].

---

(١) الأحماء: جمع حمى، وهو الموضع فيه كلأ، يحمى من الناس أن يرعوه أي يمنعونهم. وقال الشافعي في شرح قول النبي ﷺ، (لا حمى إلا لله ولرسوله): كان الشريف من العرب في الجاهلية إذا نزل بلداً في عشيرته استعوى كلباً فحمى لخاصته مدى عوائه فلم يرعه معه أحد، وكان شريكاً في سائر المرابع حوله.
قال: فنهى أن يحمى على الناس حمى كما كان في الجاهلية، وقوله: إلا لله ولرسوله يقول: إلا لخيل المسلمين وركابهم المرصدة للجهاد.

(٢) النقيع: هو القاع، والموضع الذي يستنقع فيه الماء، ونقيع =

● أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني يحيى بن واضح قال: كتب عمر بن عبد العزيز أن تعمل الخانات بطريق خراسان.

● أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني عمرو بن عثمان بن هانئ قال: حضرت قسمتين قسمهما عمر بن عبد العزيز على جميع الناس كلهم سوّى بينهم.

● أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عمرو بن عثمان، ومحمد بن هلال قالا: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أفرض للناس إلا لتاجرٍ، فقال سليمان بن يسار: أصاب عمر، التاجر مشغول بتجارته عما يصلح المسلمين.

● أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنا محمد بن هلال عن عمر بن عبد العزيز أنه فرض لرجال ألفين ألفين شرف العطاء.

= الخَضِمات: موضع حماه عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، لخيل المسلمين، وهو من أودية الحجاز يدفع سيله إلى المدينة يسلكه العرب إلى مكة منه. وحمى النقيع على عشرين فرسخاً أو نحوه من المدينة. والنقيع: موضع قرب المدينة كان لرسول الله ﷺ، حماه لخيله. ومساحته ميل في بريد، وفيه شجر يستجم الراكب حتى يغيب الراكب فيه. فقد حماه إذن الرسول، ثم عمر بن الخطاب.

● أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني سعيد بن مسلم بن بانك قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول وهو خليفة: إنه لا يحلّ لكم أن تأخذوا لموتاكم، فارفعوهم إلينا، واكتبوا لنا كل منفوس نفرض له.

● أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنا إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: رأيت أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم يعمل بالليل كعمله بالنهار لاستحثاث عمر أياه.

● أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني داود بن خالد، قال: حدثنا محمد بن قيس قال: رأيت عمر بن عبد العزيز إذا صلى العشاء دعا بشمعةٍ من مال الله ليكتب في أمر المسلمين والمظالم فتردّ في كل أرضٍ فإذا أصبح جلس في ردّ المظالم وأمر بالصدقات أن تقسم في أهلها. فلقد رأيت من يُتصدق عليه في العام القابل له إبل فيها صدقة.

● أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنا ابن أبي ذئب عن مهاجر بن يزيد قال: بعثنا عمر بن عبد العزيز فقسمنا الصدقة فيهم، فلقد رأيتنا وإنا لنصدّق من العام القابل من كان يُتصدّق عليه، ولقد كنت أراه يكتب إلى أهله أو في الحاجة تكون له في خاصّة نفسه فيأمر

بالشمعة فتُنَحّى ويأمر بشمعةٍ أخرى. لقد كنت أراه يغسل ثيابه فما يخرج إلينا وماله غيرها وما أحدث بنا، ولقد رأيت عتبةً له خَرِبت فكلِّم في إصلاحها، ثم قال: يا مزاحم هل لك أن نتركها فنخرج من الدنيا ولم نحدث شيئاً؟ قال: وحرّم الطلاء في كل أرض.

● أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنا خُليد بن دعلجٍ قال: لما استخلف عمر بن عبد العزيز أرسل إلى الحسن[1] وابن سيرين[2] يقول لهما: أرد عليكما ما

---

(١) الحسن البصري: هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، وكانت أم الحسن مولاة لأم المؤمنين أم سلمة، وأبوه يسار من سبي ميسان، سكن المدينة، وأُعتق، وتزوج في خلافة عمر، وولد الحسن سنة إحدى وعشرين لسنتين بقيتا من خلافة عمر، واسم أم الحسن خيرة. نشأ الحسن بوادي القرى وحضر الجمعة مع عثمان، وسمعه يخطب، وشهد يوم الدار وله يومئذٍ أربع عشرة سنة. رضع من أم سلمة. كان شيخ البصرة، وكان سيد أهل زمانه علماً وعملاً.
كان الحسن رجلاً تام الشكل، مليح الصورة بهياً من الشجعان الموصوفين، كثير الجهاد، كاتباً لأمير خراسان الربيع بن زياد، ومات الحسن في أول رجب سنة عشر ومائة.

(٢) محمد بن سيرين: الإمام أبو بكر الأنصاري، الأنسي البصري، مولى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، كان أبوه من موالي جرجرايا (بين واسط وبغداد). تملّكه أنس بن مالك، ثم كاتبه، =

حبس عنكما من أعطياتكما، فقال ابن سيرين: إن فُعل ذلك بأهل البصرة فعلتُ وأما غير ذلك فلا. فكتب عمر: إن المال لا يسع. قال: وقبل الحسن.

● أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا موسى بن نجيح عن إبراهيم بن يحيى أن عمر بن عبد العزيز كتب أن يعطى خارجة بن زيد[1] ما قُطع عنه من الديوان، فمشى خارجة إلى أبي بكر بن حزم فقال: إني أكره أن

= فوفّاه، وعجّل له مال الكتابة، وكثر مال ابن سيرين من التجارة. ولد سنة إحدى وعشرين لستين بقيتا من خلافة عمر.
كان محمد بن سيرين قصيراً، عظيم البطن، كثير المزاح، حسن العلم بالفرائض، والقضاء، والحساب.
عن ابن عون: ثلاثة لم تر عيناي مثلهم: ابن سيرين بالعراق، والقاسم بن محمد بالحجاز، ورجاء بن حيوة بالشام.
قال محمد بن جرير الطبري: كان ابن سيرين فقيهاً، عالماً، ورعاً، أديباً، كثير الحديث، صدوقاً، شهد له أهل العلم بذلك، حُجّة.
مات ابن سيرين سنة عشر ومائة بعد الحسن البصري بمائة يوم أي لتسع مضين من شوال.

(١) خارجة بن زيد بن ثابت: الفقيه، الإمام ابن الإمام، أحد الفقهاء السبعة الأعلام، أبو زيد الأنصاري، النجاري، المدني، جده لأمه سعد بن الربيع، رضي الله عنه.
ولد في خلافة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، سنة تسع وعشرين، وتوفي سنة تسع وتسعين.

يلزم أمير المؤمنين من هذا مقالة، ولي نظراء، فإنْ أمير المؤمنين عمّهم بهذا فعلت، وإن هو خصّني به فإني أكره ذلك له. فكتب عمر: لا يسع المال ذلك، ولو وسعه لفعلت.

● أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني يحيى بن خالد بن دينار عن أبي بكر بن حزم قال: كنا نخرّج ديوان أهل السجون فيخرجون إلى أعطيتهم بكتاب عمر بن عبد العزيز. وكتب إليَّ: من كان غائباً قريب الغيبة فأعط أهل ديوانه ومن كان منقطع الغيبة فاعزل عطاءه إلى أن يقدم أو يأتي نعيه، أو يوكّل عندك بوكالةٍ بيّنةٍ على حياته فادفعه إلى وكيله.

● أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني سَخْبَل بن محمد، عن عيسى بن أبي عطاء قال: شهدت عمر بن عبد العزيز قضى عن غارمٍ خمسةً وسبعين ديناراً من سهم الغارمين.

● أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني يعقوب بن محمد بن أنس عن يعقوب بن عمر بن قتادة قال: وفد عاصم بن عمر بن قتادة، وبشير بن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه على عمر بن عبد العزيز في خلافته فدخلا عليه بـ(خُناصِرة) فذكرا ديناً عليهما،

فقضى عن كل واحدٍ منهما أربعمائة دينارٍ، فخرج الصكّ يُعطَيان من صدقة كلب مما عزل في بيت المال. قال محمد بن عمر: وكان ذلك العزل قُدم به لم يوجد أحد منهم يقضى عنه دين فأُدخل فضله بيت المال عزلاً لأن يُقضى به عن الدُّيّان فهذا وجهه.

● أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني المفضّل بن الفضل القيني عن عبد الرحمٰن بن جابر قال: قدم القاسم بن مُخَيْمَرة على عمر بن عبد العزيز فسأله قضاء دينه، فقال عمر: كم دينك؟ قال: تسعون ديناراً، قال: قد قضيناه عنك من سهم الغارمين، قال: يا أمير المؤمنين، أغنني عن التجارة، قال: بماذا؟ قال: بفريضةٍ قال: قد فرضت لك في ستين، وأمرنا لك بمسكنٍ وخادمٍ. فكان القاسم بن مُخَيْمَرة يقول: الحمد لله الذي أغناني عن التجارة، إني لأغلق بابي فما يكون لي خلفه همّ.

● أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني موسى بن عمران الحارثي قال: حدثني أبو عفير محمد بن سهل بن أبي حَثْمَة قال: قَضى عني عمر بن عبد العزيز وهو خليفة خمسين ومائتي دينار من صدقات بني كلاب، وكتب بها.

● أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني عمر بن طلحة عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصديق أنه قال يوماً: إن عمر بن عبد العزيز لم يزل رأيه والذي يشير به على من ولي هذا الأمر من أهل بيته توفير هذا الخمس على أهله، فكانوا لا يفعلون ذلك، فلما ولي الخلافة نظر فيه فوضعه في مواضعه الخمسة وآثر به أهل الحاجة من الأخماس حيث كانوا، فإن كانت الحاجة سواء وسّع في ذلك بقدر ما يبلغ الخمس.

وربما أعطى عمر بن عبد العزيز المال من يُستألف على الإسلام، وقد أعطى بطريقاً ألف دينار استألفه على الإسلام. وفدى رجلاً من العدو ردّه بمائة ألف درهم.

● وكتب إلى عماله في الآفاق أن لا يفرضوا لابن الأربع عشرة سنةً في القتال ويفرضوا لابن خمس عشرة سنةً.

● يستتاب المرتد ثلاثة أيام فإن تاب وإلا ضربت عنقه.

● شيئان ليس لأهلهما فيهما جواز أمرٍ ولا لوالٍ إنما هما لله، يقوم بهما الوالي من قُتل عدواناً وفساداً في الأرض، ومن قُتل غيلةً.

● لا تنكح امرأة الأسير أبداً ما دام أسيراً.

● الرسول، والبريد، والوكيل يبعثون من العسكر، يُجرى لهم سهامهم مع المسلمين.

● لا بأس بقتال السامرة.

● يسهم لفرسين وما كان بعد فجنائب.

● إذا دخلت الصائفة فلا تتركنّ أحداً يدخل في أثرهم إلا في قوةٍ وجماعةٍ من الرجال والخيل والعُدد.

● يفتدى الرجل والمرأة والعبد والذميّ.

● أُعطي برجلٍ من المسلمين عشرةً من الروم، وأخذ المسلم.

● أُتي بأسيرٍ أسره مسلمة بن عبد الملك، وأن أهله سألوه أن يفتدوه بمائة مثقال فردّه عمر إليهم، وفداه بمائة مثقال.

● وكان ـ رحمه الله ـ يكره قتل الأسرى إذ يرى الاسترقاق أو العتق.

● ويقول: من سرق من أرض العدو ثم خرج أُقيم عليه الحد فيقطع، لأن السرقة سرقة أينما كانت ومن تعوّد أمراً استمر فيه واستسهله. وكذا من افترى على

غيره، وقد أقام الحدّ ثمانين جلدةً على رجلٍ افترى على رجلٍ حين خرجوا من أرض الحرب حيث كانت الفرية في داخلها. وكذا أقام الحدّ ثمانين جلدة في خُناصرة على رجلٍ شُهد عليه أنه شرب خمراً بأرض العدو.

● وقطع يد سارقٍ سرق من المغنم قبل أن يقسم بعد أن سأل أهو ممن أوجف في المغنم؟ فقيل: لا.

● وقال عمر بن عبد العزيز تمام الرباط أربعون يوماً. وسُمع يقول بدابق: نحن في رباط.

● وكتب في الذمّي يغزو مع المسلمين فيؤمّن العدو: لا يجوز أمانه، وقال: إنما قال رسول الله ﷺ: يجير على المسلمين أدناهم، وهذا ليس بمسلم.

● وكتب عمر بن عبد العزيز في الذمي، يسلم قبل السنة بيوم: لا تُؤخذ منه الجزية وكتب: إن أسلم والجزية في كفّة الميزان فلا تؤخذ منه.

● وكتب أن ينظر في أمر السجون ويستوثق من أهل الذعارات، وكتب لهم برزق الصيف والشتاء. فكانوا يرزقون شهراً بشهرٍ، ويكسون كسوةً في الشتاء وكسوةً في الصيف، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أمراء الأجناد: وانظروا من في السجون ممن قام عليه الحق

فلا تحبسه حتى تقيمه عليه، ومن أشكل أمره فاكتب إليّ فيه، واستوثق من أهل الذعارات فإن الحبس لهم نكال، ولا تَعَدّ في العقوبة، ويُعاهد مريضهم ممن لا أحد له، ولا مال، وإذا حبست قوماً في دينٍ فلا تجمع بينهم وبين أهل الذعارات في بيتٍ واحدٍ ولا حبسٍ واحدٍ. واجعل للنساء حبساً على حدة، وانظر من تجعل على حبسك ممن تثق به ومن لا يرتشي فإن من ارتشى ضيّع ما أمر به.

● وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن يعرض أهل السجن في كل سبتٍ، ويستوثق من أهل الذعارات. كما كتب إليه: أن احبس أهل الذعارات في وثاقٍ وأهل الدم، فكتب إليه يسأله: كيف يصلون من الحديد؟ فكتب إليه عمر: لو شاء الله لابتلاهم بأشد من الحديد، يصلون كيف تيسّر على أحدهم، وهم في عذرٍ فأما الوثاق فإني وجدت أبا بكر يرحمه الله، كتب أن يُبعث إليه برجال في وثاقٍ.

● كتب عمر بن عبد العزيز في المحابيس: لا يُقيّد أحد بقيدٍ يمنع من تمام الصلاة.

● قال عطاء دخلت على فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة عمر بن عبد العزيز فقلت لها: يا بنت

عبد الملك أخبريني عن أمير المؤمنين. قالت: أفعل ولو كان حياً ما فعلت، إن عمر، رحمه الله، كان قد فرّغ نفسه وبدنه للناس، كان يقعد لهم يومه، فإن أمسى وعليه بقية من حوائج الناس يومه وصله بليلته إلى أن أمسى مساء وقد فرغ من حوائج يومه فدعا بسراجه الذي كان يسرج له من ماله، ثم قام فصلى ركعتين، ثم أقعى واضعاً رأسه على يده تسايل دموعه على خده يشهق الشهقة وأقول قد خرجت نفسه أو انصدعت كبده، فلم يزل ليلته حتى برق له الصبح، ثم أصبح صائماً، قالت: فدنوت منه فقلت: يا أمير المؤمنين لشيءٍ ما كان فيك الليلة ما كان منك، قال: أجل فدعيني وشأني وعليك بشأنك، قالت: قلت له: لأني لأرجو أن أتعظ، قال: إذن أخبرك إني نظرت إليّ فوجدتني قد ولّيت أمر هذه الأمة صغيرها وكبيرها، وأسودها وأحمرها، ثم ذكرت الغريب الضائع، والفقير المحتاج، والأسير المفقود وأشباههم في أقاصي البلاد وأطراف الأرض، فعلمت أن الله سائلي عنهم، وأن محمداً ﷺ حجيجي فيهم، فخفت أن لا يثبت لي عند الله عذر، ولا يقوم لي مع رسول الله ﷺ حجة، فخفت على نفسي خوفاً دمعت له عيني، ووجل له قلبي، وأما كلما ازددت لها ذكراً ازددت منه وجلاً، وقد أخبرتك فاتعظي الآن أو دعي.

كان عمر بن عبد العزيز يكتب إلى ولاته كل ما يجول في خاطره من صلاحٍ للأمة، وإصلاح للرعية، ويطلب إليهم أن يكتبوا بما يعترضهم من مشكلات.

كتب إلى والي الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمٰن بن زيد بن الخطاب إلى عمر بن عبد العزيز: إنه رُفع إليّ رجل يَسُبُّك فهممت أن أضرب عنقه، فحبسته وكتبت إليك لأستطلع في ذلك رأيك. فكتب إليه: أما إنك لو قتلتَه لأقدتُك به، إنه لا يقتل أحد بسبّ أحدٍ إلا من سبّ النبي ﷺ، فاسببه إن شئت أو خلّ سبيله.

وكان عمر يستقبل وفود الأمصار ويستمع إليهم، ويسألهم عن بلادهم، وأمرائهم، وقضاتهم، ثم ينصحهم ويُوجّههم إلى الطاعة وعمل الخير.

حدّث مزاحم بن زفر قال: قدمت على عمر بن عبد العزيز في وفد أهل الكوفة فأخذ يسألنا عن بلدنا وأميرنا وقاضينا، ثم قال: خمس إن أخطأ القاضي منهن خصلةً كانت فيه وصمة: أن يكون فهيماً، وأن يكون حليماً، وأن يكون عفيفاً، وأن يكون صلباً، وأن يكون عالماً يسأل عما لا يعلم.

وقال ذات مرةٍ: لا ينبغي للقاضي أن يكون قاضياً حتى تكون فيه خمس خصالٍ: عفيف، حليم، عالم بما كان قبله، يستشير ذوي الرأي، لا يبالي ملامة الناس.

وكان يبعث القادة، ويجهّزهم، ويوصيهم، عن رجاء أبي المقدام عن عمرو بن قيس أن عمر بن عبد العزيز بعثه على الصائفة فقال له: يا عمرو لا تكن أول الناس فتقتل فينهزم أصحابك، ولا تكن آخرهم فتُثَبِّطهم وتُجَنِّبهم، ولكن كن وسطهم حيث يرون مكانك ويسمعون كلامك، وفادِ من قدرت عليه من المسلمين، وأرقائهم، وأهل ذِمَّتهم.

الفقراء:

اتخذ عمر بن عبد العزيز دار الطعام للمساكين والفقراء وابن السبيل، وتقدّم إلى أهله: إياكم أن تصيبوا من هذه الدار شيئاً من طعامها فإنما هو للفقراء والمساكين وابن السبيل، فجاء يوماً فإذا مولاة له معها صحفة فيها غرفة من لبن، فقال لها: ما هذا؟ قالت: زوجتك فلان حامل ـ كما قد علمت ـ واشتهت غرفةً من لبن، والمرأة إذا كانت حاملاً فاشتهت شيئاً فلم تُؤت به تخوّفت على ما في بطنها أن يسقط، فأخذت هذه الغرفة

من هذه الدار. فأخذ عمر بيدها فتوجّه بها إلى زوجته، وهو عالي الصوت، وهو يقول: إن لم يمسك ما في بطنها إلا طعام المساكين والفقراء فلا أمسكه الله، فدخل على زوجته، فقالت له: مالك؟ قال: تزعم هذه أنه لا يمسك ما في بطنك إلا طعام المساكين والفقراء، فإن لم يمسكه إلا ذلك فلا أمسكه الله. قالت زوجته: ردّيه ويحك، والله لا أذوقه، فردّته.

أهل الذمة:

كتب عمر بن عبد العزيز إلى والي البصرة عدي بن أرطأة: بسم الله الرحمٰن الرحيم. من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عدي بن أرطأة ومن قبله من المسلمين والمؤمنين، سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إلٰه إلا هو، أما بعد: فانظر أهل الذمة فارفق بهم، وإذا كبر الرجل منهم وليس له مال، فأنفق عليه، فإن كان له حميم فمر حميمه ينفق عليه، وقاصّه من جراحه كما لو كان لك عبد فكبرت سنه لم يكن لك بدّ من أن تنفق عليه حتى يموت أو يعتق. وبلغني أنك تأخذ من الخمر العشور فتبقيه في بيت مال الله، فإياك أن تُدخِلَ بيت مال الله إلا طيّباً. والسلام عليكم.

كتب حيان بن شريح عامل مصر إلى عمر بن عبد العزيز: إن أهل الذمة قد أسرعوا في الإسلام وكسروا الجزية. فكتب إليه عمر: أما بعد، فإن الله قد بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً[1] فإذا أتاك كتابي هذا فإن كان أهل الذمة أسرعوا في الإسلام وكسروا الجزية فاطو كتابك وأقبل.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله على خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي يأمره أن يدعو أهل الجزية إلى الإسلام فإن أسلموا قَبِلَ إسلامهم ووضع الجزية عنهم، وكان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين. فقال له رجل من أشراف أهل خراسان: إن ـ والله ـ ما يدعوهم إلى الإسلام إلا أن توضع عنهم الجزية، فامتحنهم بالختان. فقال: أنا أردّهم عن الإسلام بالختان؟ هم لو قد أسلموا فحسن إسلامهم كانوا إلى الطهرة أسرع. فأسلم على يده نحو من أربعة آلاف.

---

(١) استغلّ بعض المغرضين هذه العبارة للطعن بالعهد كله فعدوا أن الجزية تبقى مفروضة على من يسلم من أهلها حتى ألغاها عمر بن عبد العزيز، وقد راجت هذه الشائعة وردّدها الذين يريدون الإشادة بعمر بن عبد العزيز، رحمه الله.

الولايات:

اختلفت أوضاع الولايات عما كانت عليه قبل خلافة عمر بن عبد العزيز.

١ ـ **المدينة**: عندما كان عمر بن عبد العزيز أميراً على المدينة أيام ابن عمه الوليد بن عبد الملك استقضى عمر على المدينة أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، فلما تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك أمّر ابن حزم على المدينة، وعندما آلت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز أبقى أبا بكر بن حزم أميراً على المدينة فاستقضى أبا طُوالة[١].

٢ ـ **الكوفة**: ولّى على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمٰن بن زيد بن الخطاب[٢]، وضمّ إليه أبا

---

(١) أبو طوالة: عبد الله بن عبد الرحمٰن بن معمر بن حزم الأنصاري، النجاري، المدني. الإمام، قاضي المدينة.
كان فقيهاً، ثقةً، صواماً قوّاماً، خيّراً مات بعد سنة ثلاثين ومائة.

(٢) عبد الحميد بن عبد الرحمٰن بن زيد بن الخطاب، الإمام الثقة، الأمير العادل، أبو عمر العدوي، الخطابي، المدني، الأعرج. له أخوان أسيد وعبد العزيز.
روى عن ابن عباس، ومحمد بن سعد، ومسلم بن يسار.
وحدّث عنه ابناه عمر وزيد، والزهري، وزيد بن أبي أنيسة. =

الزناد[1] كاتباً، فكان على حربها وخراجها حتى توفي عمر، واستقضى عامراً الشعبي[2]. وذلك بعد أن عزل يزيد بن المهلب عن العراق.

= ولي إمرة الكوفة لعمر بن عبد العزيز. ومات بحرّان سنة عشرة ومائة. كان قليل الرواية، كبير القدر.

(١) أبو الزناد: عبد الله بن ذكوان: الإمام الفقيه، الحافظ المفتي، أبو عبد الرحمٰن القرشي المدني، ويُلقّب بأبي الزناد.
كان أبوه مولى رملة بنت شيبة بن ربيعة زوجة الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وقيل: مولى عائشة بنت عثمان، وقيل: مولى آل عثمان.
ولد سنة خمس وستين. حدث عن أنس بن مالك، وأبي أمامة بن سهل، وأبان بن عثمان، وعروة، وسعيد بن المسيِّب، وخارجة بن زيد، وعلي بن الحسين، والقاسم بن محمد.
وحدّث عنه ابنه عبد الرحمٰن، وابن أبي مليكة، وصالح بن كيسان، وهشام بن عروة، وسفيان الثوري، ومحمد بن عبد الله بن حسن، ومالك، والليث.
كان كثير الحديث، فصيحاً بالعربية.
مات أبو الزناد فجأة في مغسلة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة ثلاثين ومائة. وهو ابن ستٍّ وستين.

(٢) الشعبي: عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار ـ وذو كبار ـ: قَيْلٌ من أقيال اليمن. الإمام، علاّمة العصر، أبو عمرو الهمداني ثم الشعبي. كانت أمه من سبي جلولاء. ولد سنة إحدى وعشرين.
كان ضئيلاً نحيفاً أعور، ولد هو وأخ له توأماً. سمع من ثمانية وأربعين من أصحاب رسول الله ﷺ. وتوفي سنة أربعٍ ومائة.

٣ ـ **البصرة**: وولى عمر بن عبد العزيز على البصرة عدي بن أرطأة الفزاري[١] فاستقضى الحسن بن أبي الحسن[٢]، ثم استعفاه فأعفاه.

٤ ـ **خراسان**: وولّى على خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي[٣] بعد أن عزل مخلد بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة.

---

(١) عدي بن أرطأة الفزاري الدمشقي: قدم عدي على البصرة، فقيّد يزيد بن المهلب، وأرسله إلى عمر بن عبد العزيز، فلما مات عمر انفلت ودعا لنفسه، وتسمى بالقحطاني، ونصب راياتٍ سوداً، وقال: أدعو إلى سيرة عمر بن الخطاب، فحاربه مسلمة بن عبد الملك وقتله، ثم وثب ولده معاوية بن يزيد بن المهلب فقتل عدياً وجماعةً صبراً سنة اثنتين ومائة.

(٢) الحسن بن أبي الحسن (الحسن البصري)، وأبوه أبو الحسن هو يسار. الحسن البصري أبو سعيد: مولى زيد بن ثابت.
كانت أم الحسن مولاة لأم المؤمنين أم سلمة، واسمها (خيرة).
يسار أبو الحسن من سبي (ميسان) سكن المدينة، وأُعتق، وتزوج بها في خلافة عمر، فولد له الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر أي سنة إحدى وعشرين.
نشأ الحسن بوادي القرى، وشهد يوم الدار يوم حصار عثمان، رضي الله عنه، وعمر الحسن يومها أربع عشرة سنة.
كان الحسن سيد أهل زمانه علماً وعملاً.
مات الحسن في رجب سنة عشر ومائة.

(٣) الجراح بن عبد الله الحكمي: أبو عقبة، مُقدّم الجيوش، فارس الكتائب، كان بطلاً شجاعاً، مهيباً طُوالاً، عابداً قارئاً، كبير القدر. =

٥ ـ **اليمن**: وولّى على اليمن عروة بن محمد بن عَطية السعدي.

٦ ـ **الجزيرة**: وأمّر على الجزيرة عدي بن عدي الكندي.

٧ ـ **مصر**: عزل عمر بن عبد العزيز عن مصر عبد الملك بن رفاعة، وولّى أيوب بن شرحبيل، كما عزل أسامة بن زيد التنوخي عن صدقات مصر.

٨ ـ **إفريقية**: ولى أمر إفريقية إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر[1]، وعزل محمد بن يزيد بن

= ولي البصرة من جهة الحجاج، ثم ولي خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز.
دمشقي نزل البصرة والكوفة.
غزا ابن خاقان فجرى قتال شديد فقُتل الجراح في رمضان سنة اثنتي عشرة ومائة، وغلبت الخزر على أذربيجان، وكان البلاء بمقتل الجراح عظيماً على المسلمين.

(١) إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، الإمام الكبير أبو عبد الحميد الدمشقي، مولى بني مخزوم، ومفقّه أولاد الخليفة عبد الملك بن مروان، من الثقات العلماء.
حدّث عن السائب بن يزيد، وأنس بن مالك، وعبد الرحمٰن بن غنم، وأم الدرداء.
وروى عنه الأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز.
ولاّه عمر بن عبد العزيز المغرب فبقي فيها سنتين، وأسلم عامة البربر في ولايته، وكان حسن السيرة. =

مسلم عن صدقات إفريقية، وتولّى أمر القضاء فيها عبد الله بن المغيرة. وقد أرسل عمر مع إسماعيل بن عبيد الله عشرةً من الفقهاء للدعوى إلى الإسلام، وقد استجاب البربر لذلك.

٩ ـ **الأندلس**: عزل الحرّ بن عبد الرحمٰن الثقفي عن إمارة الأندلس، كما عزل أخاه الحارث بن عبد الرحمٰن الثقفي عن صدقات الأندلس. وأعطى السمح بن مالك الخولاني ولاية الأندلس.

الخوارج:

لم يتحرّك الخوارج في عهد عمر بن عبد العزيز بعد أن رأوا فيه الصلاح والخير. وقيل إن الخوارج قد اجتمعوا بعد أن سمعوا سيرة عمر بن عبد العزيز، وردّه المظالم، وقالوا: ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل. ودخل ناس من الحرورية على عمر بن عبد العزيز فذاكروه شيئاً، فأشار إليه بعض جلسائه أن يُرعبهم ويتغيّر عليهم، فلم يزل عمر بن عبد العزيز يرفق بهم حتى أخذ عليهم، ورضوا منه أن يرزقهم ويكسوهم ما بقي،

= مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة قبل دخول بني العباس دمشق بالسيف بثلاثة أشهر.

فخرجوا على ذلك؛ فلما خرجوا ضرب عمر ركبة رجلٍ يليه من أصحابه فقال: يا فلان إذا قدرت على دواءٍ تشفي به صاحبك دون الكيّ فلا تكوينّه أبداً.

قال يحيى بن يحيى الغساني: بلغني أن ناساً من الحرورية جمعوا بناحية من الموصل فكتبت إلى عمر بن عبد العزيز أعلمه بذلك، فكتب إليّ يأمرني أن أرسل إليّ منهم رجالاً من أهل الجدل، واعطهم رهناً وخذ منهم رهناً، واحملهم على مراكب البريد إليّ، ففعلت ذلك فقدموا عليه، فلم يدع لهم حُجَّةً إلا كسرها، فقالوا: لسنا نجيبك حتى تكفنا أهل بيتك، وتلعنهم وتتبرأ منهم، فقال عمر: إن الله لم يجعلني لعاناً ولكن أن أبقى أنا وأنتم فسوف أحملكم وإياهم على المحجة البيضاء، فأبوا أن يقبلوا ذلك منه، فقال لهم عمر: إنه لا يسعكم في دينكم إلا الصدق، منذ كم دنتم الله بهذا الدين؟ قالوا: منذ كذا وكذا سنة. قال: فهل لعنتم فرعون وتبرأتم منه؟ قالوا: لا. قال: فكيف وسعكم تركه؟ ألا يسعني ترك أهل بيتي وقد كان فيهم المحسن والمسيء والمصيب والمخطىء. قالوا: قد بلغنا ما هاهنا. فكتب إليّ عمر: أن خذ من في أيديهم من رهنك ـ يعني ودع من في يدك من رهنهم ـ وإن كان رأي القوم أن يسيحوا في البلاد

على غير فساد على أهل الذمة، ولا تناول أحدٍ من الأمة فليذهبوا حيث شاءوا، وإن تناولوا أحداً من المسلمين وأهل الذمة فحاكمهم إلى الله، وكتب إليهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين إلى العصابة الذين خرجوا. أما بعد، فإني أحمد الله إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن الله يقول: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[1]، وإني أذكركم الله أن تفعلوا فعل كبرائكم ﴿كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[2]، أفبذنبي تخرجون من دينكم، وتسفكون الدماء، وتنتهكون المحارم، ولو كانت ذنوب أبي بكرٍ وعمر مخرجةً رعيتهما من دينهم كانت لهما ذنوب، فقد كان آباؤكم في جماعاتهم فلم ينزعوا فما ينزعكم على المسلمين وأنتم بضعة وأربعون رجلاً. وإني أقسم لكم بالله لو كنتم

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٤٧.

أبكاري من ولدي فوليتم عما أدعوكم إليه من الحق لدفقت دماءكم ألتمس بذلك وجه الله والدار الآخرة، فهذا النصح، فإن استغششتموني فقديماً ما استغش الناصحون.

فأبوا إلا القتال، وحلقوا رؤوسهم وساروا إلى يحيى بن يحيى فأتاهم كتاب عمر، ويحيى بن يحيى مواقعهم للقتال.

من عبد الله أمير المؤمنين إلى يحيى بن يحيى. أما بعد. فإني ذكرت آيةً في كتاب الله ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[1]. وإن من العدوان قتل النساء والصبيان فلا تقتلنَّ امرأةً ولا صبياً، ولا تقتلنَّ أسيراً، ولا تطلبنَّ هارباً، ولا تُجهزنَّ على جريحٍ ـ إن شاء الله ـ[2].

● عزل عمر بن عبد العزيز صاحب حرس سليمان خالد بن الريان وولّى عمرو بن مهاجر الأنصاري لما رأى من صلاته، وتلاوته للقرآن.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٧.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز: ابن الجوزي.

الفصل الثالث

الجهاد في عهد عمر بن عبد العزيز

بُعث رسول الله ﷺ، في مكة فحمل الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح للأمة، وأخذ يدعو إلى الله فآمن من آمن، وأنكر من أنكر، ووقف سادة قريشٍ في وجه الدعوة خوفاً على مكانتهم وحرصاً على مصالحهم. وحفاظاً على زعامتهم، وعملوا على صدّ الناس عن الإيمان بل وحاولوا رِدّة من أسلم، ورغم ما بذلوا وما هددوا غير أنهم باءوا بالفشل فلم يرتدّ مسلم عن دينه، إذ ذاق حلاوة الإيمان، وأحسّ معنى الأخوة، وعرف نتائج الإسلام.

كان رسول الله ﷺ، يعرض نفسه على القبائل عسى أن يجد من يحمي الدعوة، ويعمل على إبلاغها للناس كافةً وذلك بعد أن قطع الأمل في قريشٍ، فكان يسمع الرُدّ القبيح، ويتلقّى الصدّ اللطيف، وكل يخشى قريشاً، ويكره الصدام معها، ولم تكن قريش لتقف

مكتوفة الأيدي عند عرض نفسه للقبائل حيث كان رجال منها يكذبونه. ويتهمونه بمختلف التهم من مسٍ وجنونٍ، وسحرٍ و... فكانت بعض القبائل تقول: أبناء قبيلته أدرى به وأكثر خبرة فتحجم دون بذل عناءٍ لمعرفة الحقيقة أو للبحث عن مضمون الرسالة.

وشاءت إرادة الله أن يقبل دعوة رسول الله ﷺ، رجال من يثرب التقوا بصاحب الرسالة في أحد المواسم، فآمنوا، وحملوا الإيمان معهم إلى مدينتهم فقبل بعضهم الدعوة، وانطلق إلى الموسم عدد منهم التقوا برسول الله ﷺ، بالعقبة، وأسلموا، وبايعوه على أن لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقوا ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتوا ببهتان يفترونه من بين أيديهم وأرجلهم، ولا يعصوا رسول الله في معروفٍ فإن وفوا وصدقوا فلهم الجنة. ولما انصرفوا أرسل معهم مصعب بن عمير يعلِّمهم الإسلام، ويفقههم في الدين.

واستدار العام وخرج الناس للموسم، وانطلق من يثرب مسلمون ومشركون، وواعد المسلمون رسول الله ﷺ، العقبة من أوسط أيام التشريق ليلاً مع الثلث منه. وتم اللقاء، وبايع مسلمو يثرب رسول الله ﷺ، على الدعوة والقتال، ومنعة

رسول الله ﷺ. واختار منهم اثني عشر نقيباً. ولما رجع مسلمو يثرب إلى مدينتهم أظهروا الإسلام، وأخذوا يدعون إلى الله.

رأى رسول الله ﷺ، ظهور الإسلام في يثرب وانتشاره، وفي الوقت نفسه اشتدّ أذى قريشٍ على المسلمين في مكة، فما دامت قد وجدت قاعدة جديدة للإسلام فلا بد من الهجرة إليها، فأشار رسول الله ﷺ، على مسلمي مكة، وعلى من عاد من الحبشة بالهجرة إلى إخوانهم في يثرب، فهاجر أكثرهم، ثم هاجر رسول الله ﷺ، وصاحبه أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، فتأسست هناك أول دولةٍ إسلاميةٍ، وعُرفت باسم «دولة المدينة» نسبةً إلى اسم «المدينة» الذي أصبح يطلق على يثرب، إذ أصبحت تُعرف باسم «مدينة رسول الله ﷺ» واختصاراً «المدينة المنورة» أو «المدينة».

التفت رسول الله ﷺ، إلى المدينة لجعلها كتلةً واحدةً أمام كل عدوٍ خارجيٍ، فآخى بين المسلمين (مهاجرين وأنصاراً) فكانوا جماعةً واحدةً متماسكةً من دون الناس، ثم وادع يهود ليأمن غدرهم وخيانتهم فيما لو داهم المدينة خصم، ويدأ رسول الله ﷺ، بعدها

يرسّخ الإيمان في النفوس، فيعلّمهم ما يتنزل من قرآن، ويوجّههم إلى السبيل المستقيم، ويرسم لهم الطريق السويّ، فثبت الإيمان في القلوب ووقر، وصدقت أعمال الجوارح. وبذا اطمأن إلى الوضع في المدينة كمرحلةٍ أولى.

اتجه رسول الله ﷺ، إلى ما حول المدينة من قبائل يدعوهم، ويعقد معهم العهود، فمنازلهم طريق قوافل قريش إلى الشام، فيجب كسبهم إلى جانب المسلمين في صراعٍ متوقعٍ مع قريش، فإن لم يمكن كسبهم فوقوفهم على الحياد على الأقل. فخرجت الفرق الاستطلاعية الإسلامية إلى ديار تلك القبائل، كما تعرّضت لقوافل قريشٍ، وغدت قريش تحسب للمسلمين حسابهم وتهابهم، وثبتت الأوضاع للمسلمين في منطقة المدينة كمرحلةٍ ثانيةٍ.

أثار وضع المسلمين الجدد قريشاً فعملت جاهدةً على القضاء على الدولة الإسلامية فجندت الجنود فهُزمت وباءت بالفشل، وجنّدت الجنود، وحزّبت الأحزاب، وأثارت يهود وحالفتها، فلم يُجد ذلك قريشاً شيئاً بل رُدّت خائبةً، وهُزم أحلافها، وطرد يهود من المدينة قبيلةً إثر قبيلةٍ، واستسلم بنو قريظة ونزلوا لحكم

المسلمين فقُتل رجالهم وسُبيت ذراريهم. وتوطّدت سيادة دولة المدينة من مكة جنوباً إلى خيبر شمالاً كمرحلةٍ ثالثةٍ.

اتجه رسول الله ﷺ نحو الجنوب لأداء العمرة فوقفت قريش في وجهه وحالت بينه وبين ما ينوي أداءه، ثم جرى صلح الحديبية بين الطرفين، وينصّ على وقف القتال بين الطرفين لمدة عشر سنوات، وبذا اعترفت قريش بكيان الدولة الإسلامية، كما أن هذا الصلح قد فسح المجال للدولة الإسلامية لتتخلص من خصومها يهود في الشمال الذين يُثيرون الفتن، ويُحرّضون على المسلمين من مواقعهم وحصونهم في خيبر.

التفت رسول الله ﷺ، إلى الشمال لتأديب يهود في الشمال فدخل خيبر، ودان له يهود فَدَك، ووادي القرى وغيرهم في تلك الجهات، وبدأ في التوسع ونشر الدعوة في الشمال حتى وصل إلى تخوم مناطق نفوذ الروم في الشام، وأخذ في ترسيخ أقدام المسلمين في تلك الجهات، وتمّ له ذلك كمرحلةٍ رابعةٍ بعد زوال مقاومة يهود، وفتنهم، وغدرهم.

عاد المسلمون نحو الجنوب، ودخل رسول الله ﷺ، مكة، وأذعنت قريش للأمر الواقع،

ودخلت بالإسلام، وانتهت بذلك مقاومة قريش، وزالت جبهة الجنوب كمرحلة خامسة.

خشي الروم من ظهور دولةٍ إسلاميةٍ قويةٍ على حدود مناطق نفوذهم، وتختلف هذه الدولة عنهم دينياً وسياسياً، فخافوا على دينهم بانتشار دينٍ ينسجم مع الفطرة البشرية، وتحمله فئة مؤمنة قوية، وخشوا على مركزهم وزوال نفوذهم من الشام على الأقل للصلة بين سكان الجزيرة والشام، لذا حرّض الروم عملاءهم الغساسنة على التحرش بالمسلمين وأمدوهم بقوة كبيرة تزيد على مائة ألف، وبدأ التحرش من قِبل الغساسنة فسار المسلمون إلى مؤتة بثلاثة آلافٍ فالتقوا مع مائة ألفٍ من الغساسنة ويدعمهم مثلهم من الروم، وجرى القتال، وإن لم ينتصر المسلمون في الميدان بل خلّفوا ثلاثة قادةٍ شهداء في الساحة لكنهم انتصروا معنوياً حيث أرهبوا الروم بشجاعتهم: ثلاثة آلاف من المسلمين يقابلون مائتي ألف من الغساسنة والروم، ويخرجون من المعركة متماسكين أقوياء، إن خلّفوا عدداً من الشهداء لكنهم لم يتخلّوا عن قوة الإيمان والثقة بنصر الله. وبذا وقع الرعب في نفوس الروم كما وقع في نفوس أعداء الإسلام جميعاً، وذلك كمرحلةٍ سادسةٍ.

وبذا أصبحت الجزيرة العربية بأكثر بقاعها تخضع لدولة المدينة الإسلامية، وانصرفت الجهود إلى توطيد أركان هذه الدولة، وترسيخ الإيمان في نفوس أبنائها، وتثبيت دعائم الأمن، وتوطين معاني الإسلام الأساسية، وهال الروم ما يجري على مقربةٍ من مناطق نفوذهم، وحاولوا جسّ النبض، وإرهاب قادة الدولة الإسلامية، فتحرّكوا في جهات تبوك فسار إليهم رسول الله ﷺ، بالمسلمين فلم يجرؤ الروم على المواجهة، وقد عرفوا قوة الإيمان في مؤتة، فانسحبوا من تبوك قبل أن تصل قوة المسلمين بقيادة قائدها رسول الله ﷺ، إلى تلك الساحة.

استقرّ وضع الإسلام في جزيرة العرب، ونلاحظ أن الاستقرار قد تمّ مرحلةً مرحلةً، فلم يتوسّع رسول الله ﷺ، نحو جهةٍ قبل أن يُثبت دعائم الإيمان في المناطق التي توسّع فيها من قبل، فالتوسّع الأفقي السريع له مخاطره، وانفتاح الدنيا له نتائجه السلبية بما يأتي من مغانم، وسبي، وإخراج.

وعن أبي سعيد الخدري قال: جلس رسول الله ﷺ، على المنبر، وجلسنا حوله فقال: «إني أخاف عليكم بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا

وزينتها». فقال رجل: أو يأتي الخير بالشرّ يا رسول الله؟ فسكت عنه رسول الله ﷺ. ورأينا أن يُنَزّل عليه، فأفاق يمسح عنه الرُحضاء، وقال: «أين السائل؟»، وكأنه حمده، فقال: «إنه لا يأتي الخير بالشر، وإن مما يُنبت الربيع ما يقتل حَبَطاً أو يُلمّ إلا آكلةَ الخَضِرِ، فإنها أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتها استقبلت عين الشمس فَثَلَطَتْ وبالت ثم رتعت، وإن هذا المال خضرة حلوة، ونعم صاحبه المسلم هو لمن أعطى المسكين واليتيم وابن السبيل».

واكتمل الإسلام، وتمّت نعمة الله على خلقه، ورضي سبحانه الإسلام لعباده، وانتقل رسول الله ﷺ، من الدار الدنيا الفانية إلى الآخرة الباقية.

أيام الصديق:

اختار المسلمون أبا بكر الصديق خليفةً لهم بعد رسول الله ﷺ، غير أن بعض العرب من أصحاب المصالح والأطماع والحرص على الزعامة قد ارتدّ ولقي دعماً من الفرس والروم، كما أن بعض القبائل قد امتنعت عن دفع الزكاة، فتصدّى لهم الصديق وسيّر لهم الجيوش فأخضعهم، وأعادهم إلى السبيل المستقيم التي خرجوا منها.

لم يوجّه الصديق الجيوش إلى الدول التي دعمت المرتدين فيضرب القوي ليُخضع الضعيف بل ثبّت دعائم القاعدة، ووطّد أركانها، وجمع صفوفها بضمّ من أراد الشذوذ والنفور. فلما تمّ له ما أراد، وطهّر أرض العرب وجّه المجاهدين للدعوة، وسيّر الجيوش لضرب من كان وراء المرتدين، وبعث البعوث لقصم من يقف في وجه انتشار الإسلام.

سارت جيوش الصديق نحو دولة فارس، فاقتحمت الحدود، وتوغّلت في الأرض، وارتفعت راية الفتح، وانتصر المسلمون، وهُزم الفرس، وظهرت قوة الإيمان.

وبعث الصديق القوات أيضاً إلى دولة الروم فولجت في الشام، وعلت راية الجهاد، وبينما كانت الجيوش الإسلامة تتقدّم في أرض العراق، وتتوغّل في الشام توفي الصديق رضي الله عنه.

أيام الفاروق:

تابع الفاروق قتال الفرس والروم، بل أمر في أول أيامه المثنى بن حارثة ببدء قتال الفرس كي يرهبهم، ولا يظنّوا أن موت خليفة وقيام آخر يُؤثّر على معنوية المسلمين أو فيه تغيير لخطة القتال كما أن جبهة الروم تدور فيها رحى القتال في معركة اليرموك.

لم يكن الفاروق ليسمح لقادة المسلمين بالانسياح في أرض العدو خوفاً عليهم من الكمائن، والإحاطة بهم إضافةً إلى أن لا يصحّ التوسّع والانسياح قبل ترسيخ الإيمان في البلاد المفتوحة، وتوطيد أركان الحكم. كما أنه لم يسمح لهم ركوب البحر ومنازلة العدو بحراً.

غير أن الفرس كانوا يعقدون الصلح مع المسلمين، ويسلمون أرضهم لكن ما أن يتجه المسلمون للقتال في جهةٍ أخرى حتى ينقض الفرس العهد، ويغدروا بالمسلمين، ويُعلنون العصيان فيضطر المسلمون إلى العودة إليهم وقتالهم من جديدٍ. فخشي الفاروق، رضي الله عنه، أن يكون المسلمون يحيفون على أهل الذمة.

سأل الفاروق، رضي الله عنه، الأحنف بن قيس الذي وصل إلى المدينة مع وفدٍ فيه أنس بن مالك، رضي الله عنه. ويسوق هذا الوفد الهرمزان الذي نقض عهد المسلمين أكثر من مرةٍ، ثم سيق في آخر مرة إلى الخليفة الفاروق في المدينة، قال الفاروق: لعل المسلمين يَفْضون إلى أهل الذمة بأذىً وبأمورٍ لها ما ينتقضون بكم. فأجاب الأحنف: ما نعلم إلا وفاءً وحسن مَلَكَة. قال الفاروق: فكيف هذا؟ فقال له

الأحنف: يا أمير المؤمنين أُخبرك أنك نهيتنا عن الانسياح في البلاد، وأمرتنا بالاقتصار على ما في أيدينا، وإن مَلِك فارس حيّ بين أظهرهم، وإنهم لا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم، ولم يجتمع ملكان يتفقان حتى يخرج أحدهما صاحبه، وقد رأيتَ أنّا لم نأخذ شيئاً بعد شيءٍ إلا بانبعاثهم، وأن ملكهم هو الذي يبعثهم، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فلنسح في بلادهم حتى نُزيله عن فارس ونُخرجه عن مملكته وعزّ أمته، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس. فقال الفاروق: صدقتني والله وشرحت لي الأمر عن حقّه.

تجمّع الفرس في نهاوند بعددٍ يزيد على المائة والخمسين ألفاً، وسار إليهم ثلاثون ألفاً من المسلمين، وجرت معركة حامية نصر الله فيها عباده فقتلوا أكثر من مائة ألفٍ من أعدائهم، ودخل المسلمون نهاوند.

لما فتحت نهاوند أمر الفاروق، رضي الله عنه، جند الله بالانسياح في أرض فارس، وأُعطيت الأوامر لسبعةٍ من الأمراء بالتوغّل في أعماق فارس وغيرها، وكانت الفتوحات الواسعة لذا عُرفت معركة نهاوند باسم «فتح الفتوح» حيث كانت بداية ذلك الفتح والانسياح. لقد فتحت فارس، ومكران، وسجستان، وخراسان،

وجرجان، وطبرستان، وطخارستان، وكردستان، وأذربيجان، وداغستان في أيام الفاروق بعد فتح نهاوند.

لقد غنم المسلمون مغانم كثيرةً، وجاءهم خير وسبي كثير، ولكن لم يترسّخ الإيمان في نفوس الذين أظهروا الإسلام، وحسب إسلامهم الظاهر غدا لهم ما للمسلمين فدخل بعضهم المدينة، وعلى أيدي بعضهم قُتل الفاروق، رضي الله عنه، كما أن أهل الذمة لم يصدقوا بعهدهم فلم يلبثوا أن نقضوا العهد، وغدروا بالمسلمين بعد مقتل عمر، رضي الله عنه. أما الخير والسبي الذي جاء إلى ديار الإسلام فقد أفاد منه المسلمون كثيراً في حياتهم الدنيا. وقد وضعت الأمور في مواضعها الطبيعية، حيث صُرفت الأموال في وجوهها المشروعة، وأنصف السبي، واتجه كل إلى عمله.

أيام ذي النورين:

تابع ذو النورين، رضي الله عنه، الجهاد، فجدّد فتح المناطق التي نقضت العهد في خراسان في الشرق، وفي الإسكندرية في الغرب وفي غيرها مما كان قد نقض العهد، وتقدّمت جيوش المسلمين في شتى الجهات، وسمح للمسلمين بركوب البحر، ففتحوا جزيرة قبرص،

وأنشأوا الأساطيل، ونازلوا الروم في البحر، وتغلّبوا عليهم، وتقدّم المسلمون في إفريقية أيضاً. وجاءت المغانم إلى المسلمين فكثر الخير، وسعد الناس. ووضعت الأموال بمواضعها الطبيعية، وصرفت في وجوهها المشروعة.

اهتزّ كيان الأعداء جميعاً إذ خاب أملهم حيث ظنّوا أن مؤامرة قتل الفاروق ستؤثّر على كيان الدولة وستهزّ المجتمع الإسلامي إلا أنهم وجدوا أن الأمة قد عادت إلى سيرها الطبيعي، واستمرّ الجهاد لذا دبّر الأعداء مؤامرةً دنيئةً شاركت فيها مختلف الأطراف بصورٍ مختلفةٍ انتهت بقتل الخليفة ذي النورين، رضي الله عنه، وإحداث فتنةٍ داخل المجتمع الإسلامي.

أيام الفتنة:

شُغل المسلمون بعد مقتل الخليفة ذي النورين فيما بينهم، ولم تكن الخلافات أكثر من اجتهاداتٍ خاصةٍ لتحقيق ما يرى المسؤول، ومع ذلك فقد سُفكت دماء، وانقسم المجتمع، ورغم هذا الخلاف الشديد في الظاهر، والذي استفاد من ظاهره الأعداء، كان يُعرف لكل صحابيٍ مكانه، وربما يسأل في أمورٍ شرعيةٍ من

يختلف معه، تقديراً للعلم والمكانة والفضل، فكثيراً ما سأل معاوية بن أبي سفيان علي بن أبي طالب وهما على خلافٍ في الرأي.

ولم يكن الخليفة أيام الفتنة ليترك الثغور دون حمايةٍ فيفسح المجال للعدو أن يتجاوز الحدود، أو يقوم ببعض التعدّيات، وكذلك كان أمراء الأمصار التي تقع فيها ثغور فيما إذا كان على خلافٍ مع أمير المؤمنين، وهذا ما كانت عليه ثغور الشام عندما كان أميرها معاوية بن أبي سفيان على خلافٍ مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث كانت في حمايةٍ لا يتركها المرابطون. بل وكانت بعض الفتوحات على بعض الجبهات، إذ كانت الجبهات كافةً محصّنةً بالجند، مرابطين فيها، ولا يحق لهم المشاركة في الأحداث المحلية لبقائهم في الثغور يسدّونها، وكانت عينا أمير المؤمنين تنظران إلى الجبهات خوفاً عليها، وتخشيان من استغلال الأعداء لما يجري بين المسلمين، وقد تقدّم المسلمون في بلاد السند أيام خلافة علي بن أبي طالب، رضي الله عنه.

أيام الجماعة:

في غمرة أحداث الخلاف اعتدت يد آثمة على أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فذهب شهيداً، فبايع أصحابه ابنه الحسن بن علي، رضي الله عنهما، فرأى فرقة الأمة فصعب عليه ذلك، فدعا معاوية بن أبي سفيان، وتنازل له، وبايعه، فاجتمعت كلمة الأمة، وعُرف ذلك العام، عام الحادي والأربعين، بعام الجماعة، وكان على الأمة أن تنطلق لتؤدي المهمة المكلّفة بها من رب العالمين، وهي دعوة العباد لعبادة الله، وإفراده بالعبادة، وتخليصهم من عبادة العباد إلى عبادة خالق العباد، ومن جور الوثنيات التي يُسمّونها ديانات إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة الباقية، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

انطلق المسلمون للجهاد في سبيل الله من كافة الأمصار، وشاركوا في جيوش الفتح، وسار أعيان المدينة من الصحابة وأبنائهم للجهاد فقد أعطوا البيعة صادقين، فلم يعرفوا الرياء، أو النفاق أو التقية، لذا نراهم في جبهات القتال يتقدمون المجاهدين، ويعطونهم المثل الأعلى في السلوك وفي القتال. نرى عبادة بن الصامت، وأبا أيوب الأنصاري، وأوس بن شداد، والحسن بن علي، والحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، رضي الله عنهم جميعاً.

رُتّبت الصوائف والشواتي لقتال الروم، وانطلقت حملة برية لقاعدة الروم «القسطنطينية» وأخرى بحرية. وتقدّم المسلمون في البحر، ففتحوا عدة جزرٍ أنقذوها من أيدي الرومان، وكذا فقد تقدّموا في إفريقية، وكان فتح مبين.

عودة الخلاف:

ما أن توفي معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، حتى عاد الخلاف بين المسلمين فتوقّف سير الجيوش إلاَّ في جهاتٍ قليلةٍ كإفريقية مثلاً، ومع هذا فالغزو لم ينقطع ولكن كان على شكلٍ محدودٍ أشبه ما يكون بالغارات لتبقى الرهبة لدى العدو من المسلمين.

واستمر الخلاف مدة خلافة يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير. وكان من الخلاف ظهور الخوارج وقتالهم المسلمين بحماسةٍ فائقةٍ وشجاعةٍ نادرةٍ، فأحدثوا شرخاً في المجتمع الإسلامي.

وحدة الكلمة:

بعد مقتل عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما، بايع المسلمون عبد الملك بن مروان، فصفا الجو، وتوحّدت الكلمة، وعمل عبد الملك على ذلك إذ كسر

شوكة الخوارج فاضطروا إلى الخنوع، واشتدت حملات أمير الجزيرة محمد بن مروان أخي عبد الملك على الروم ومنطقة أرمينية،وبعث قوةً إلى شرقي دولة الخلافة، فأبدوا شجاعة، وفتحوا بعض البقاع، وأعادوا هيبة المسلمين الأولى. ونستطيع أن نقول: إن وضع الخلافة قد استقر.

عودة الفتوحات:

بويع الوليد بن عبد الملك بعهدٍ من أبيه فوجد الأمر مستقراً، والناس على استعدادٍ للجهاد، بل في تحفّزٍ لذلك، وتهيّأ له قادة، فوافق على القتال والانسياح في أرض الأعداء فتقدّم قتيبة بن مسلم الباهلي في بلاد ما وراء النهر، ودخل محمد بن القاسم الثقفي في بلاد السند، وانساح موسى بن نصير، وطارق بن زياد في بلاد الأندلس، وتمّ النصر للمسلمين في الجبهات كافةً، وغنموا أموالاً لا تحصى، وحصلوا على سبي لا يحصر، وربحوا غنائم لا تُقدّر، ونالوا ممتلكات لا تُعدّ، وحُمل هذا كله إلى دمشق، فوُزّع على الناس فحصل كل فردٍ على الكثير من مالٍ، وموالي، وجوارٍ، فجمع المال، وكلّف الموالي بالأعمال، فأتوا له بالمال أيضاً، وأعطى الجواري أشغالهن، وكنّ له كزوجات، وعاش هو في

ترفٍ ورخاءٍ، فأبطرت النعمة بعض النفوس، وتغيّرت الطباع، ومالت إلى الدعة، وأخلدت إلى الأرض. وهذا الخير الذي جاء بالشر بفتح زهرة الدنيا وزينتها على المسلمين الذي تحدّث عنه رسول الله ﷺ. واستمرّ تدفّق الغنائم حتى توفّي الوليد، واستُخلف سليمان بن عبد الملك بعد أخيه بعهد من أبيه. وقد توقّف التدفّق لتوقّف الفتح حيث عُزل أحد القادة وهو محمد بن القاسم، واستدعي موسى بن نصير، وخلع البيعة قتيبة بن مسلم فلم يلبث أن قتل، ولكن وإن توقّف التدفق إلا أنه لا زال يتزايد بأيدي الأفراد مما يأتي من خراجٍ، ومما يعمل الموالي ويُقدّمون للسادة، وهذا ما يزيد الترف والرخاء، كما أن كثرة الجواري وأمهات الأولاد يبقي المتعة والبهجة، ويبقى الخاصة بعيدين عن شؤون العمل والإنتاج لا يفكرون إلا بالسلطان، وأخذ الأعطيات، ونيل الهبات، وجمع المال. واهتمّ الموالي بالتربية والحصول على العلم، كما اهتمت أمهات الأولاد بتنشئة أبنائهن على طلب العلم كي يكون لهم أمل في مستقبل الدنيا، فكانوا في علية القادة، والعلماء، والمربّين.

اختلّ التوازن الاجتماعي إذ انصرف إلى متاع الدنيا

وطيّباتها كثير من السادة، فاستفادوا بما نالوا من عطايا، وما أخذوا من هباتٍ، وما حصلوا عليه من إقطاعاتٍ، وما يقدّمه لهم مواليهم من أتعابهم، وعاش آخرون على ما يجنونه من أعمال أو ما يأخذونه وهو يكاد يكفيهم.

واستُخلف عمر بن عبد العزيز بعهدٍ من سليمان بن عبد الملك فأراد أن يُعيد التوازن الاجتماعي، فلا يُعطي أحداً أكثر من حقه، ولا يمنع أحداً حقه، ورأى نفسه مسؤولاً عن هذا، ومحاسباً أمام الله عن كل خللٍ يحدث، وأن كل مظلومٍ في رعيته سيكون خصماً له يوم القيامة.

الجهاد أيام عمر بن عبد العزيز:

نظر عمر بن عبد العزيز إلى مجتمعه فرأى فيه ما رأى، ووجد أنه المسؤول عن تقويمه، ورأى الخلل عاماً، وخاصةً في مجتمع البلاد المفتوحة حديثاً، ولا بد من الإصلاح، وترسيخ عنصر الخير قبل فتح بلدان جديدةٍ.

ففي الأمصار التي فُتحت سابقاً والتي استقر فيها الإسلام لا بدّ من أخذ ما مُنح، واسترجاع ما أُهدي، واستعادة ما أُقطع، وضمّ ذلك كله إلى بيت مال

المسلمين، وعدم إعطاء إلا بحق، وعدم منع صاحب حقٍ من حقه، فإذا ما فعل ذلك عادت للمجتمع بعض مقوماته، وقد بدأ بنفسه فطبّق ذلك على ما سبق أن أخذه، وثنّى بأهل بيته، وهذه صفة المصلح ألا يأمر بشيءٍ أو ينهى عن شيءٍ إلا ويبدأ بنفسه وأهله الأقربين، ثم عمَّم على المجتمع فأخذ العدل مجراه والمساواة طريقها، إذ أعطى من يستحق العطاء، وتفقّد الأيتام، والمساكين، والأرامل حتى لم يبق في المجتمع من يستحق الزكاة بل من يقبل أخذها.

أما البلدان التي فتحت حديثاً فقضى على الشرك فيها، وأعاد ما أُخذ بغير حقٍ، وعامل الجميع معاملةً واحدةً فظهرت معاني تعاليم الإسلام فأقبل الناس نحوه بصدق حتى قلّت موارد الدولة مما كان يأتي من الجزية دلالةً على إسلام أهل الذمّة.

وحاور الخوارج وأفحمهم فاضطروا إلى السكون فانتهت الفوضى، وعمّ الأمن، ولهذه الإصلاحات عُدّ عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين.

ونظر إلى جند المسلمين الذين يحاصرون القسطنطينية منذ عهد سليمان بن عبد الملك، وقد قلّت عندهم المؤن، وطال عليهم الزمن من بعدهم عن

الأهل، ولا سبيل لإرسال النجدات وخاصةً البحرية منها لبعد المسافة، ووجود أساطيل الروم المتمركزة في قواعد مشحونةٍ بالمؤن، مملوءةٍ بالعتاد يرتادها الرجال باستمرار. كما أن إيصال المؤونة والنجدات إلى الجند المسلمين أمر صعب وشاق لطول الطريق في أرض العدو في الجبال الوعرة والفيافي المقفرة. إضافةً إلى أن طول البقاء على أسوار القسطنطينية يُضعف معنويات الجنود هناك والمنتظرين هنا. لذا فإن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أمر مسلمة بن عبد الملك أمير الحملة إلى القسطنطينية بالعودة بمن معه.

وإذا كان عمر بن عبد العزيز قد انصرف إلى الوضع الداخلي إلا أنه لم يكن ليهمل الحدود فيطمع بأمته الأعداء بل كانت الثغور محميةً محصّنة، وينطلق منها المجاهدون للغزو على نطاقٍ محليٍ ليبقى العدو في حذرٍ ورهبةٍ لا يُفكّر في الاقتراب من ديار الإسلام، ولا يطمعه توجّه الخليفة لتثبيت دعائم الإسلام في الأقاليم الحديثة الفتح.

وأغار الترك على أذربيجان فقتلوا جماعةً من المسلمين، ونالوا منهم، فوجّه إليهم عمر بن عبد العزيز حاتم بن النعمان الباهلي فقتل الترك، ولم يفلت منهم إلا

اليسير، وجاء على الخليفة وهو بـ «خناصرة» بخمسين أسيراً منهم.

وقد غزا الوليد بن هشام المعيطي، وعمرو بن قيس الكندي بأهل حمص بلاد الروم على رأس صائفةٍ.

وقد غزا السمح بن مالك الخولاني فرنسا، فاخترق جبال البرانس من الأندلس، وزحف على مقاطعتي «سبتمانيا» و«البروفانس»، ثم أغار على «أكيتانيا»، وحاصر طلوشة (طولوز)، فخرج له دوق أكيتانيا بجيشٍ كبيرٍ بعد وفاة عمر بن عبد العزيز، ونشبت معركة عظيمة بين الطرفين استشهد فيها السمح بن مالك الخولاني عام ١٠٢ هـ، وتولّى إمرة المسلمين عبد الرحمٰن الغافقي فانسحب بفلول الجيش إلى «ناربونة» قاعدة «سبتمانيا».

فكان عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ يريد تسوية المجتمع على أسسٍ إسلاميةٍ ثم الانطلاق إلى إبلاغ الدعوة ونشر الإسلام والجهاد في سبيل الله. وقد أعاد للمجتمع توازنه بردّ المظالم، وإقامة العدل، ونشر المساواة، وقبل أن يلتفت إلى الجهاد أتاه الأجل المحتوم الذي لا مفرّ منه ـ رحمه الله تعالى ـ.

الفصل الرابع

شخصية عمر بن عبد العزيز

كان عمر بن عبد العزيز أبيض، رقيق الوجه، جميلاً، نحيف الجسم، حسن اللحية، غائر العينين، بجبهته أثر حافر دابة، فلذلك سُمّي أشجّ بني أمية، وقد وخطه الشيب.

دخل عمر إلى اصطبل أبيه، وهو غلام، فضربه فرس، فشجّه، فجعل أبوه يمسح عنه الدم، ويقول: إن كنت أشجّ بني أمية إنك لسعيد.

كان عمر قبل أن يلي الخلافة يتأنق في لباسه، ويبذل المال في ذلك، وقد كان يقول: لقد خفت أن يعجز ما قسم الله لي عن كسوتي، وما لبست ثوباً قط فرآه الناس عليّ إلا خُيل لي أنه قد بلي. فلما ولي الخلافة خرج من هذا كله بل زهد في هذا كله، فقد قال أحد حرسه: صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة

ثم جلس، وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه. فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إن الله عزّ وجلّ قد أعطاك فلو لبست، فنكس ملياً، ثم رفع رأسه فقال: إن أفضل القصد عند الجدة وأفضل العفو عند المقدرة.

عندما استخلف عمر بن عبد العزيز قوّموا ثيابه باثني عشر درهماً، وكان يؤم الناس في جبة وساج ليس عليه إزار.

وقال أحد حرسه: رأيت عمر بن عبد العزيز ولي وبه من حسن اللون، وجودة الثياب والبزة، ثم دخلت عليه بعد، وقد ولي، فإذا هو قد احترق واسود، ولصق جلده بعظمه حتى ليس بين الجلد والعظم لحم.

وكان خاتم عمر من فضة وفصّه من فضةٍ مربع، ونقشه «لكل عمل ثواب»، وقيل: «الوفاء».

قيل لعمر بن عبد العزيز: ما يقعدك هاهنا؟ قال: أنتظر ثيابي تغسل لأصعد بها المنبر، فقيل له: وما هي؟ قال: قميص وإزار ورداء قيمتهن أربعة عشر درهماً.

وكما كان في خلافته زاهداً في لباسه ومركبه كان كذلك ينظر إلى المال نظرة الابتلاء، وأنه عذاب

لصاحبه، فمن كثر ماله كثر عذابه في الدنيا وزاد سؤاله في الآخرة، ومن كانت الدنيا بين يديه فهو أكثر أهلها عذاباً. لذا لا يملك إلا ما هو بحاجةٍ إليه، وما زاد على حاجته تصدّق به، أو ردّه إلى بيت المال، ونساؤه لا يعرفن المجوهرات للزينة، ولا التبذير في الأموال، ولا الزيادة في الأطعمة، وكذا أبناؤه وسائر أهل بيته.

كان عمر بن عبد العزيز منصرفاً في شبابه إلى نفسه في لبسه وعلمه وقد حصل على ما تاقت نفسه إليه منهما. وفي إمارته كان منصرفاً إلى العدل، وسماع النصح.

أما في خلافته فكان شغله الشاغل الرعية والعدل بينها، وردّ المظالم، والاستقامة، والهم الكبير الخوف من السؤال يوم الحساب، وقد كان ذاك اليوم ماثلاً دائماً أمامه، يخشاه، ويعمل بما ينقذه من ذلك الهول العظيم، وهذا ما جعله إمام هدى، وعُدَّ خامس الخلفاء الراشدين.

● قال عمر بن عبد العزيز لقاضيه أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: ما وجدت من أمرٍ هو ألذّ عندي من حقٍّ وافق هوىً.

● كان عمر بن عبد العزيز يصوم الاثنين والخميس.

●قال عمر بن عبد العزيز ـ وهو والي المدينة ـ لمؤذنه: إذا أذنت للظهر أو العتمة فصلِّ ركعتين، ثم اقعد قدر ما تظنّ أن قد سمعك رجل من أقصى المدينة فقضى حاجته، وتوضأ، ولبس ثيابه، ومشى مشياً رفيقاً حتى يأتي المسجد فيصلي فيه أربع ركعات ثم قعد، فأقم بقدر ذلك.

● قال محمد بن عمر: سمعت عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة يقول: كان عمر بن عبد العزيز يؤمّنا بالمدينة فلا يجهر بـ«بسم الله الرحمٰن الرحيم».

● قال عمر بن عبد العزيز في كلامٍ له: فلو كان كل بدعةٍ يميتها الله على يدي، وكل سُنَّةٍ ينعِشها الله على يدي ببضعة من لحمي حتى يأتي آخر ذلك على نفسي كان في الله يسيراً.

● عن حمّاد بن أبي سليمان أن عمر بن عبد العزيز قام في مسجد دمشق، ثم نادى بأعلى صوته: لا طاعة لنا في معصية الله.

● عن سيّار قال: كان عمر بن عبد العزيز يقول

للناس: الحقوا ببلادكم فإني أذكركم في أمصاركم، وأنساكم عندي إلا من ظلمه عامل فليس عليه مني إذن فليأتني.

●عن عبد الله بن واقد قال: إن آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس الحقوا ببلادكم فإني أذكركم ببلادكم وأنساكم عندي، ألا وإني قد استعملت عليكم رجالاً لا أقول هم خياركم ولكنهم خير ممن هو شرّ منهم، فمن ظلمه عامل بمظلمةٍ فلا إِذْنَ له عليّ، والله لئن منعت هذا المال نفسي وأهلي ثم بخلت به عليكم إني إذن لضنين، والله لولا أن أُنعش سُنّةً أو أسير بحقٍّ ما أحببت أن أعيش فُواقاً[1].

● قال عمر بن عبد العزيز: إني لأدع كثيراً من الكلام مخافة المباهاة.

● كان أول كتاب قرأه والي العراقين عبد الحميد فيه سطر: أما بعد فما بقاء الإنسان بعد وسوسة شيطان، وجور سلطان، فإذا أتاك كتابي هذا فأعط كل ذي حقٍّ حقّه.

---

(١) طبقات ابن سعد.

● أتى عمر بن عبد العزيز منزله، فقال: هل عندكم من طعام؟ فأصاب تمراً وشرب ماءً، وقال: من أدخله بطنه النار فأبعده الله.

● كان لفاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز جارية ذات جمالٍ فائقٍ، وكان عمر، رحمه الله، معجباً بها قبل أن تفضي إليه الخلافة، فطلبها منها وحرص، فأبت دفعها إليه، وغارت من ذلك، فلم تزل في نفس عمر، فلما استخلف أمرت فاطمة بالجارية فأُصلحت ثم حُلّيت فكانت حديثاً في حسنها وجمالها، ثم دخلت فاطمة بالجارية على عمر فقالت: يا أمير المؤمنين، إنك كنت معجباً بفلانة جاريتي وسألتنيها فأبيت ذلك عليك، فإن نفسي طابت لك بها اليوم فدونكها، فلما قالت ذلك استبانت الفرح في وجهه، ثم قال: ابعثي بها إليّ، ففعلت، فلما دخلت عليه نظر إلى شيءٍ أعجبه فازداد بها عجباً، فقال لها: ألقي ثوبك، فلما همت أن تفعل قال: على رسلك اقعدي، أخبريني لمن كنت، ومن أين أتيت لفاطمة؟ قالت: كان الحجاج بن يوسف أغرم عاملاً كان له من أهل الكوفة مالاً وكنت في رقيق ذلك العامل، فاستصفاني مع رقيق له وأموال فبعث بها إلى عبد الملك بن مروان، وأنا

يومئذٍ صبية، فوهبني عبد الملك لابنته فاطمة. قال: وما فعل ذلك العامل؟ قالت: هلك. قال: وما ترك ولداً؟ قالت: بلى. قال: وما حالهم؟ قالت: سيئة. قال: شدّي عليك ثيابك. ثم كتب إلى عبد الحميد عامله: أن سرّح إليّ فلان بن فلان على البريد. فما قدم قال له: ارفع إلي جميع ما أغرم الحجاج أباك، فلم يرفع إليه شيئاً إلا دفعه إليه، ثم أمر بالجارية فدُفعت إليه، فلما أخذ بيدها قال: إياك وإياها فإنك حديث السن ولعل أباك أن يكون قد وطئها. فقال الغلام: يا أمير المؤمنين هي لك. فقال: لا حاجة لي فيها، قال: فابتعها مني، قال: لست إذن ممن ينهى النفس عن الهوى. فمضى بها الفتى، فقالت الجارية: فأين موجدتك بي يا أمير المؤمنين؟ فقال: إنها لعلى حالها، ولقد ازدادت، فلم تزل الجارية في نفس عمر حتى مات. (ولكن استطاع أن ينهى نفسه عن هواها). وقيل: كانت لفاطمة بنت عبد الملك زوج عمر بن عبد العزيز جارية فبعثت بها إليه، وقالت: إني قد كنت أعلم أنها تعجبك، وقد وهبتها لك فتناول منها حاجتك. فقال لها عمر: اجلسي يا جارية، فوالله ما من شيءٍ من الدنيا كان أعجب إليّ أن أناله منك فأخبريني ما كان من سببك. قالت: كنت جاريةً من البربر حتى أتى حسّان فهرب من موسى بن

نصير عامل عبد الملك على إفريقية، فأخذني موسى بن نصير فبعثني إلى عبد الملك، فوهبني عبد الملك لفاطمة، فأرسلت بي إليك، فقال: كذبنا والله أن نفتضح، فجهّزها وأرسل بها إلى أهلها[1].

● قال عبد الله بن دينار: لم يرتزق عمر من بيت مال المسلمين شيئاً، ولم يرزأه حتى مات ـ والله أعلم ـ.

الكرم:

قال عمر بن عبد العزيز: ما أعطيت أحداً مالاً إلا وأنا أستقلّه، وإني لأستحيي من الله عزّ وجلّ أن أسأل الجنة لأخٍ من إخواني وأبخل عليه بالدنيا، فإذا كان يوم القيامة قيلَ لي: لو كانت الجنة بيدك كنت بها أبخل[2].

الورع:

بعث عمارة بن نسي مع أبي شيبان بسلتين من رُطَب أول ما جاء الرُّطَب، فأتاه بهما. فقال: على ما جئت بهما؟ قال: على دواب البريد. قال: فاذهب فبعهما، قال: فذهبت فبعتهما بثمانية عشر درهماً،

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز: عبد الرحمٰن بن الجوزي.
(٢) المصدر السابق نفسه.

فاشتراهما رجل من بني مروان فأهداهما إلى عمر، فلما أتي بهما قال: يا أبا شيبان كأنهما السلتان اللتان أتيت بهما، قال: نعم، فوضع إحداهما بين أيدينا فأكلنا منها، وبعث الأخرى إلى امرأته، وألقى ثمنهما في بيت المال.

● قال عمر بن عبد العزيز: وددت أن عندي عسلاً من (سنير) أو(لبنان) فسمعت فاطمة بنت عبد الملك فحملت بعض غلمانها أو بعض مواليها إلى (ابن معدي كرب) وهو عامل ذلك المكان: أن أمير المؤمنين قد تشهى من عسل (سنير) أو (لبنان)، فأرسل إليه بعسلٍ كثيرٍ، فلما انتهى بالعسل إليها أرسلت به إلى عمر، فقالت: هذا الذي تشهيت، فقال: كأني بك يا فاطمة قد بعثت بعض مواليك إلى (ابن معدي كرب) فأمر بذلك العسل. فأُخرج إلى السوق فبيع، وأُدخل ثمنه بيت مال المسلمين، ثم كتب إلى (ابن معدي كرب): إن فاطمة بعثت إليك تخبرك أني تشهيت عسلاً من عسل (سنير) أو (لبنان) فبعثت إليها به. وأيم الله لئن عدت إلى مثلها لا تعمل لي عملاً أبداً، ولا أنظر إلى وجهك.

● كان عمر بن عبد العزيز يعجبه أن يتأدم بالعسل، فطلب من أهله يوماً عسلاً فلم يكن عندهم، فأتوه بعد ذلك بعسلٍ، فأكل منه، فأعجبه، فقال لأهله:

من أين لكم هذا؟ قالت امرأته: بعثت بدينارين على بغل البريد، فاشتراه لي، فقال: أقسمت عليك لما أتيتني به. فأتت بعكّةٍ فيها عسل فباعها بثمن يزيد، وردّ عليها رأس المال، وألقى بقيته في بيت مال المسلمين، وقال: نصبت دواب المسلمين في شهوة عمر.

● كان عمر بن عبد العزيز لا يحمل على البريد إلا في حاجة المسلمين، فكتب إلى عاملٍ له يشتري عسلاً. وأن عامله حمله على مركبٍ من البريد، فلما أتى عمر قال ما حمله. قالوا: على البريد. فأمر بذلك العسل فبيع وجعل ثمنه في بيت مال المسلمين، وقال: أفسدت علينا عسلك.

● قالت فاطمة بنت عبد الملك: اشتهى عمر بن عبد العزيز يوماً عسلاً، فلم يكن عندنا، فوجّهنا رجلاً على دابةٍ من البريد إلى بعلبك، فأتى بعسل، فقلنا يوماً: إنك ذكرت عسلاً، وعندنا عسل فهل لك فيه؟ قال: نعم، فأتينا به فقرّب. ثم قال: من أين لكم هذا العسل؟ قالت: وجّهنا رجلاً على دابةٍ من دواب البريد بدينارين إلى بعلبك فاشترى لنا بها عسلاً، قال: فأرسل إلى الرجل فجاءه، فقال: انطلق بهذا العسل إلى السوق فبعه فاردد إلينا رأس مالنا، وانظر إلى الفضل واجعله في بيت

مال المسلمين علف دواب البريد، ولو ينفع المسلمين فيء لتقيّأت.

● كان عمر بن عبد العزيز يقسم تفاح الفيء فتناول ابن صغير له تفاحةً فانتزعها من فيه فأوجعه، فسعى إلى أمه مستعبراً فأرسلت إلى السوق فاشترت له تفاحاً، فلما رجع عمر وجد ريح التفاح، فقال: يا فاطمة هل أتيت شيئاً من هذا الفيء؟ قالت: لا، وقصّت عليه القصة، فقال: والله لقد انتزعتها من ابني لكأنما أنتزعتها من قلبي لكن كرهت أن أضيع نفسي من الله عزّ وجلّ بتفاحةٍ من فيء المسلمين.

التواضع:

قال عمر بن عبد العزيز لجاريةٍ له: روحيني، فأقبلت تُروّحه فغلبتها عينها فنامت، فأخذ المروحة وأقبل يُروّحها، فانتبهت فصاحت، فقال لها عمر: إنما أنت بشر مثلي أصابك من الحرّ ما أصابني، وأحببت أن أروحك مثل الذي روحتيني.

● كان عمر بن عبد العزيز يجلس إلى قاصّ العامة بعد الصلاة، ويرفع يده إذا رفع، ودخلت عليه ابنة أسامة بن زيد، ومعها مولاة لها تمسك بيدها، فقام لها

عمر ومشى إليها، ثم أجلسها في مجلسه، وجلس بين يديها، وما ترك لها حاجةً إلا قضاهاً.

● قال عمر بن عبد العزيز لعمرو بن مهاجر: يا عمرو إذا رأيتني ملت عن الحق فضع يدك في تلابيبي، ثم هزّني، ثم قل لي: ماذا تصنع.

● لما ولي عمر بن عبد العزيز دخل عليه أخٌ له فقال: إن شئت كلمتك وأنت عمر فيما تكره اليوم وتحبّ غداً، وإن شئت كلمتك وأنت أمير المؤمنين فيما تحبّ اليوم وتكره غداً. فقال: بل كلمني وأنا عمر فيما أكره اليوم وأحبّ غداً.

● لما استخلف عمر بن عبد العزيز قال: انظروا رجلين من أفضل من تجدون، فجيء برجلين، فكان إذا جلس مجلس الإمارة أمر فأُلقي لهما وسادة قبالته فقال لهما: إنه مجلس شرة وفتنة فلا يكن لكما عمل إلا النظر إليّ، فإن رأيتما مني شيئاً لا يوافق الحق فخوّفاني، وذكّراني بالله عزّ وجلّ.

● قال رجاء بن حيوة: سمرت ليلةً عند عمر بن عبد العزيز فاعتلّ السراج فذهبت أقوم أصلحه فأمرني عمر بالجلوس، ثم قام فأصلحه، ثم عاد فجلس فقال

قمت وأنا عمر بن عبد العزيز، وجلست أنا وعمر بن عبد العزيز، ولؤم بالرجل أن يستخدم ضيفه.

● قال رجاء بن حيوة لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز: ما أكمل مروءة أبيك، فقال: سمرت معه ذات ليلةٍ فغشي السراج، فقال لي: ما ترى السراج قد غشي؟ قلت: بلى، وإلى جانبه وصيف راقد، قلت: أفلا أُنبّهه؟ قال: لا، دعه يرقد، قلت: أفلا أقوم أنا؟ قال: لا، ليس من مروءة الرجل استخدام ضيفه. قال: فوضع رداءه، ثم قام إلى بطة زيتٍ معلقةٍ فأخذها فأصلح السراج، ثم ردّها في موضعها، ثم رجع وقال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز.

● قيل لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين لو أتيت المدنية فإن قضى الله موتاً دفنت موضع القبر الرابع مع رسول الله ﷺ، وأبي بكرٍ وعمر، قال: والله لئن يعذبني الله بكل عذاب ـ إلا النار فإنه لا صبر عليها ـ أحبّ إليّ من أن يعلم الله من قلبي أني أرى أني لذلك أهل.

● أطرى رجل عمر بن عبد العزيز في وجهه فقال: يا هذا لو عرفت من نفسي ما أعرف منها ما نظرت في وجهي.

بلغ عمر بن عبد العزيز أن ابناً له اشترى فصّاً بألف درهم فتختّم به. فكتب إليه عمر: (غريمة مني عليك لما بعت الفصّ الذي اشتريته بألف درهم وتصدقت بثمنه، واشتريت فصّاً بدرهم نقشت عليه رحم الله امرأً عرف قدره) والسلام.

الحلم:

غضب عمر بن عبد العزيز يوماً على رجل غضباً شديداً فبعث إليه فجرّده ومدّه في الحبال، ثم عاد بالسياط حتى إذا قلنا هو ضاربه قال: خلّوا سبيله لولا أني غضبان لسؤتك، وقرأ ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾.

● قام عمر بن عبد العزيز حتى يقيل فعرض له رجل بيده طومار، فظنّ القوم أنه يريد أمير المؤمنين، فخاف أن يُحبس دونه فرماه بالطومار، والتفت أمير المؤمنين فأصابه في وجهه فشجّه، وأخذت الدماء تسيل على وجهه وهو في الشمس، فقرأ الكتاب، وأمر له بحاجته، وخلّى سبيله.

● نال رجل من عمر بن عبد العزيز، فقيل: ما يمنعك منه؟ قال: التقي مُلجم.

● لما ولي عمر بن عبد العزيز خرج ليلةً ومعه حرسيّ، فدخل المسجد فمر في الظلمة برجلٍ نائم فعثر به فرفع رأسه إليه فقال أمجنون أنت؟ قال: لا. فهمّ به الحرسي، فقال له عمر: مه إنما سألني أمجنون أنت، فقلت: لا.

● أسمع رجل عمر بن عبد العزيز كلاماً، فقال له عمر بن عبد العزيز: أردت أن يستفزّني الشيطان بعزّ السلطان فأنال منك اليوم ما تنال مني غداً. ثم عفا عنه.

الاجتهاد في العبادة:

كان يصوم الاثنين، والخميس، والعشر الأول من ذي الحجة، وعاشوراء، وعرفة.

● كان عمر بن عبد العزيز لا يدع النظر في المصحف كل يومٍ ولكنه لا يكثر.

● كان لعمر بن عبد العزيز بيت في جوف بيت يصلي فيه، لا يدخل فيه أحد. فإذا كان آخر الليل دخل عمر ذلك البيت يصلي، ويناجي ربه، ويبكي حتى طلوع الفجر.

● كان عمر بن عبد العزيز يسمر بعد العشاء الآخرة قبل أن يوتر،فإذا أوتر لم يكلم أحداً.

وكان كثير البكاء، إن تلا آية فيها ذكر الموت بكى، وإذا خطر بباله موقف رهيب بكى.

● قال عمر بن عبد العزيز مرةً لابنه: اقرأ. قال: ما أقرأ؟ قال: سورة [ق] فقرأ حتى إذا بلغ ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾[1] ثم قال: اقرأ، اقرأ يا بني. قال: ما أقرأ؟ قال سورة [ق]. فقرأ حتى إذا بلغ ذكر الموت بكى بكاءً شديداً، يفعل ذلك مراراً.

● صلّى مرةً في جماعةٍ فقرأ سورة الصافات فلما بلغ ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[2] فجعل يكررها لا يستطيع أن يجاوزها من البكاء.

● وكان عمر بن عبد العزيز يقرأ مرة في بيته سورة يونس فلما بلغ ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[3] فبكى بكاءً شديداً.

● قرأ رجل عند أمير المؤمنين ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا

---

(١) سورة ق: الآية ١٩.
(٢) سورة الصافات: الآية ٢٤.
(٣) سورة يونس: الآية ٦١.

مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾[1] فبكى عمر حتى غلبه البكاء وعلا نشيجه فقام من مجلسه فدخل بيته، وتفرّق الناس.

● خطب عمر بن عبد العزيز الناس يوم الجمعة فقرأ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾[2] حتى إذا انتهى إلى ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾﴾ بكى وأبكى أهل المسجد حتى ارتجّ المسجد بالبكاء.

● كان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله.

● قال ميمون بن مهران: دعاني عمر فقال: إني أوصيك بوصيةٍ فاحفظها، إياك أن تخلو بامرأةٍ غير ذات محرم، وإن حدثتك نفسك أن تعلمها القرآن.

● قال المغيرة بن حكيم: قالت لي فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز: يا مغيرة إنه قد يكون في الناس من هو أكثر صلاةً وصياماً من عمر، وما رأيت أحداً قطّ كان أشدّ فرقاً من ربه من عمر، كان إذا

---

(١) سورة الفرقان: الآية ١٣.

(٢) سورة التكوير.

صلى العشاء قعد في مسجده، ثم رفع يديه، فلم يزل يبكي حتى تغلبه عيناه، ثم ينتبه فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه.

● حدثنا الوليد بن مسلم عن مالك بن أنس قال: قال عمر بن عبد العزيز: ما كذبت كذبةً منذ شددت عليّ إزاري.

● دخل رجل على عمر بن عبد العزيز فجعل يرفع صوته، فقال عمر: مه حسب المرء ما أسمع به جليسه من كلامه.

● اجتمع بنو مروان فقالوا: لو دخلنا على أمير المؤمنين فعطّفناه علينا وأذكرناه أرحامنا، فدخلوا فتكلّم رجل منهم فخرج فنظر إليه عمر. فوصل له رجل كلامه بالمزاح، فقال عمر: لهذا اجتمعتم، لأخس الحديث ولما يورث الضغائن؟ إذا اجتمعتم فأفيضوا في كتاب الله فإن تعديتم فعليكم بمعالي الحديث.

● قال جعفر بن محمد بن أبي العالية الرياحي: سهرت مع عمر بن عبد العزيز ليلةً فقلت: يا أمير المؤمنين ما يبقى منك تعب النهار مع سهر الليل، قال: لا تفعل يا أبا العالية فإن لقاء الرجال تلقيح لألبابها.

● قال عمر بن عبد العزيز لجلسائه: من صحبني منكم فليصحبني بخمس خصال: يدلّني من العدل إلى ما لا أهتدي له، ويكون لي على الخير عوناً، ويبلغني حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ولا يغتاب عندي أحداً، ويؤدّي الأمانة التي حملها مني ومن الناس. فإذا كان كذلك فحي هلا به وإلا فهو خرج من صحبتي والدخول عليّ.

● كان عمر بن عبد العزيز يقول: أحسن بصاحبك ـ يعني الظن ـ ما لم يغلبك.

● قال عمر بن عبد العزيز: كانت لي نفس توّاقة، فكنت لا أنال شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أعظم منه، فلما بلغت نفسي الغاية تاقت إلى الآخرة.

● قال مزاحم لعمر بن عبد العزيز: إني رأيت في أهلك خللاً، فقال: يا مزاحم ألا يكفيهم. أعطيهم ما يصيبون من المقاسم مع المسلمين من فيئهم مع مال عمر، فقال مزاحم: وأين يقع ذلك منهم مع ما يمونون ومع ضيافتهم وكسوتهم نساءهم. وأين يقع ذلك، قد والله خشيت أن تصيبهم مخمصة، فقال عمر: إن لي نفساً تواقة، لقد رأيتي وأنا بالمدينة غلام مع الغلمان، ثم تاقت نفسي إلى العلم إلى العربية والشعر فأصبت منه

حاجتي وما كنت أريد. ثم تاقت نفسي إلى السلطان فاستعملت على المدينة، ثم تاقت نفسي وأنا في السلطان إلى اللبس والعيش والطيب فما علمت أن أحداً من أهل بيتي ولا غيرهم كان في مثل ما كنت فيه. ثم تاقت نفسي إلى الآخرة والعمل بالعدل، فأنا أرجو ما تاقت نفسي إليه من أمر آخرتي، فلست بالذي أُهلك آخرتي بدنياهم.

● قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه: يا أبت ما يمنعك أن تمضي لما تريد من العدل، فوالله ما كنت أباً لي لو غلت بي وبك القدور في ذلك. قال: يا بنيّ إنما أروض رياضة الصعب، إني لا أريد أن أُحيي الأمور من العدل فأؤخر ذلك حتى أخرج معه طمعاً من طمع الدنيا فينفروا لهذه ويسكنوا لهذه.

● قال عمر بن عبد العزيز ما طاوعني الناس على ما أردت من الحق حتى بسطت لهم من الدنيا شيئاً.

● قال عمر لميمون بن مهران: كيف لي بأعوان على هذا الأمر أثق بهم وآمنهم؟ قال: يا أمير المؤمنين لا تشغل قلبك بهذا فإنك سوق، وإنما يُحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها، فإذا عُرف أن النافق عندك الصحيح لم يأتوك إلا بالصحيح.

● نقش رجل على خاتم «عمر بن عبد العزيز» فحبسه خمس عشرة ليلةً ثم خلّى سبيله.

● بعث عمر بن عبد العزيز يزيد بن أبي مالك الدمشقي والحارث بن يمجد الأشعري يفقهان الناس في البدو، وأجرى عليهما رزقاً. فأما يزيد فَقَبِلَ، وأما الحارث فأبى أن يقبل، فكُتِب إلى عمر بن عبد العزيز بذلك، فكتب عمر: إنا لا نعلم بما صنع يزيد بأساً، وأكثر الله فينا مثل الحارث بن يمجد.

● سألت فاطمة بنت عبد الملك عمر بن عبد العزيز أن يجري عليها خاصةً، فقال لها؛ لا، لك في مالي سعة. قالت: فَلِمَ كنت أنت تأخذ منهم؟ قال: كانت المهنأة لي والإثم والتبعة عليهم، أما إذا وليت فلا أفعل ذلك فيكون إثمه عليّ.

● أتى رجل من أهل أذربيجان عمر بن عبد العزيز، فقام بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين، أذكر بمقامي هذا مقاماً لا يشغل الله عنه فيه كثرة من يخاصم من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ولا براءة من الذنب، فبكى عمر بكاءً شديداً، ثم قال: ويحك اردد عليّ كلامك، فجعل يُردّده عليه، وعمر يبكي وينتحب، ثم قال: ما حاجتك؟ قال: إن عامل أذربيجان عدا عليّ

فأخذ مني اثني عشر ألف درهم فجعلها في بيت مال المسلمين، فقال عمر: اكتبوا له الساعة إلى عاملها حتى يردّه عليه.

● قدم عمر بن عبد العزيز بعض أهل المدينة فجعل يسألهم عن أهل المدينة فقال: ما فعل المساكين الذين كانوا يجلسون في مكان كذا وكذا؟ قالوا: قد قاموا منه يا أمير المؤمنين وأغناهم الله. وكان من أولئك المساكين من يبيع الحبط (العشب) للمسافرين فالتمس ذلك منهم بعد، فقالوا: قد أغناهم الله عن بيعه بما يعطينا عمر.

● قال عمر بن أسيد بن عبد الرحمٰن بن زيد بن الخطاب: إنما ولي عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفاً ـ ثلاثين شهراً ـ لا والله ما مات عمر بن عبد العزيز حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله، قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس.

● أتى رجل إلى عمر بن عبد العزيز فقال: زرعت زرعاً فمر به جيش من أهل الشام فأفسده، فعوّضه منه عشرة آلاف درهم.

● أُتي إلى عمر بن عبد العزيز بسارقٍ فشكا إليه الحاجة فعذره وأمر له بنحو عشرة دراهم.

● قال عمرو بن مهاجر: إن عمر بن عبد العزيز كانت له الشمعة ما كان في حوائج المسلمين فإذا فرغ من حوائجهم أطفأها ثم أسرج عليه سراجه.

● زاد عمر الناس في أعطياتهم عشرةً عشرةً العربي والمولى سواء.

● قال رياح بن عبيدة: كنت قاعداً عند عمر بن عبد العزيز فذُكر الحجاج فشتمته ووقعت فيه، فقال عمر: مهلاً يا رياح إنه بلغني أن الرجل ليظلم فلا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه حتى يستوفي حقه ويكون للظالم الفضل عليه.

● نفى عمر بن عبد العزيز آل أبي عقيل أهل بيت الحجاج من العراق إلى اليمن.

● لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد عليه بلال بن أبي بردة فهنأه فقال: من كانت الخلافة يا أمير المؤمنين شرّفته فقد شرّفتها، ومن كانت زانته فقد زنتها، وأنت والله كما قال مالك بن أسماء:

وتزيدين طيّب الطيب طيباً

أن تمسيه أين مثلك أينا

وإذا الـــدرّ زان وجــوه قــوم
كـان لـلـدرّ حـسـن وجـهـك زيـنـا

فجزاه عمر خيراً، ولزم بلال المسجد يصلي، ويقرأ ليله ونهاره، فهمّ عمر أن يوليه العراق، ثم قال: هذا رجل من فضل، فدسّ إليه ثقةً له، فقال له: إن عملت لك في ولاية العراق ما تعطيني؟ فضمن له مالاً جزيلاً فأخبر بذلك عمر، فنفاه وأخرجه، وقال: يا أهل العراق إن صاحبكم أعطى مقولاً ولم يعط معقولاً، وزادت بلاغته ونقصت زهادته.

● كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: أما بعد، فالزم الحق منازل أهل الحق يوم لا يقضى بين الناس إلا بالحق وهم لا يظلمون.

● وكتب إلى عامل له: أما بعد، فلتجفّ يداك من دماء المسلمين، وبطنك من أموالهم، ولسانك من أعراضهم، فإذا فعلت ذلك فليس عليك سبيل ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾[1].

● وكتب إلى والي الكوفة عبد الحميد بن

---

(١) سورة الشورى: الآية ٤٢.

عبد الرحمٰن: سلام عليك، فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدّة وجور في أحكامهم، وسنن خبيثة سنّها عليهم عمال السوء. وإن أقوم الدين العدل والإحسان، فلا يكوننّ شيء أهم إليك من نفسك أن توطنها لطاعة الله فإنه لا قليل من الإثم.

● وكتب إلى والي البصرة عدي بن أرطأة؛ واعلم أن أحداً لا يستطيع إنفاذ قضايا ما بين الناس حتى لا يبقى منها شيء، لا بد أن تستأخر قضايا ليوم الحساب.

● وكتب إلى والي حمص: انظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا فاعط كل رجلٍ منهم مائة دينار يستعينون بها على ما هم عليه من بيت مال المسلمين حين يأتيك كتابي هذا، وإن خير الخير أعجله والسلام عليك.

فكان عمرو بن قيس، وأسد بن وادعة فيمن أخذها.

● قال يحيى بن يحيى الغساني: لما ولآني عمر بن عبد العزيز الموصل قدمتها فوجدتها أكثر البلاد سرقاً ونقباً. فكتبت إلى عمر أعلمه حال البلد، وأسأله أخذ الناس بالظنّة وأضربهم على التهمة، أو آخذهم

بالبيّنة وما جرت عليه السنة، فكتب إليّ أن خذ الناس بالبيّنة وما جرت عليه السنة، فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله. فقال يحيى: ففعلت ذلك فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقاً ونقباً.

● وكتب عمر إلى أمير الجزيرة: وكن كمن ولاّك الله أمره ناصحاً فيما تعيب عليهم من أمورهم، ساتراً لما استطعت من عوراتهم، إلا شيئاً أبداه الله لا يصلح ستره. وتمسك نفسك عنهم إذا غضبت وإذا رضيت حتى يكون ذلك فيما بينك وبينهم مستوياً حسناً جميلاً. لا تبتغين لحقٍ أديته إليهم، ولا لخير سددتهم له منهم حظاً ولا مدحة، وليكن ذلك لمن لا يعطي الخير إلا هو ولا يصرف السوء إلا هو. واغتنم كل يوم وليلةٍ مضت عليك وأنت سالم.

● قال عمر لحرسه: إن بي عنكم لغنىً، كفى بالقدر حاجزاً والأجل حارساً، ولا أطرحكم من مراتبكم، من أقام منكم فله عشرة دنانير، ومن شاء فليلحق بأهله.

وكان لعمر ثلاثمائة شرطي وثلاثمائة حرسي.

● وكتب عامر إلى عمر يشكو قلّة القراطيس،

فأجابه عمر أدقّ قلمك، وأقلّ كلامك تكتفي بما قبلك من القراطيس.

● وبعث عمر بن عبد العزيز برسالةٍ إلى أهل الأمصار: لا يركب نصراني سرجاً ولا يلبس قباءً ولا طيلساناً ولا سراويل ذات خدمة، ولا يمشين بغير زنار من جلدٍ، ولا يمشي إلا مفروق الناصية، ولا يوجد في بيت نصراني سلاح إلا أُخذ.

● كتب عدي بن أرطأة عامل البصرة إلى عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين: أما بعد، فإن الناس قد كثروا في الإسلام، وخفت أن يقلّ الخراج، فكتب إليه عمر: فهمت كتابك، والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا.

● شكا عامل إلى عمر بن عبد العزيز فكتب إليه عمر: يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء.

فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر، فقال: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، لا أعود إلى ولايةٍ أبداً حتى ألقى الله تعالى.

• وكتب عمر إلى بعض عماله: أما بعد، فاتق الله فيمن وليت أمره، ولا تأمن مكره في تأخير عقوبته فإنه إنما يعجّل بالعقوبة من يخاف الفوت. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

• وكتب أيضاً إلى بعض عماله: أما بعد، فإذا دعتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم فاذكر قدرة الله عليك في نفاذ ما يأتي إليهم وبقاء ما يؤتى إليك.

• وكتب إلى عاملٍ له: اجتنبوا الأشغال عند حضور الصلوات فمن أضاعها فهو لما سواها من شرائع الإسلام أشد تضييعاً.

• وكتب إلى عاملٍ له: اعمل للدنيا على قدر مقامك فيها، واعمل للآخرة على قدر مقامك فيها.

• قال عمر بن عبد العزيز: ادرؤوا الحدود ما استطعتم في كل شبهةٍ، فإن الوالي إذا أخطأ في العفو خير من أن يتعدّى في العقوبة.

• خاصم قوم من الأعراب إلى عمر بن عبد العزيز قوماً من بني مروان في أرض كان الأعراب أحيوها فأخذها الوليد بن عبد الملك فأعطاها بعض أهله، فقال عمر بن عبد العزيز: قال رسول الله ﷺ:

البلاد بلاد الله والعباد عباد الله، من أحيى أرضاً ميتةً فهي له، فردّها على الأعراب.

● عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: لما دفن عمر سليمان صعد إلى المنبر فقال: إني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم، فصاح الناس صيحةً واحدةً: قد اخترناك. فنزل، فدخل، فأمر بالستور فهتكت، والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت، وأمر ببيعها وإدخال ثمنها بيت المال، ثم ذهب يتبوأ مقيلاً، فقال ابنه عبد الملك: تقيل ولا ترد المظالم؟ قال: أي بني سهرت البارحة في أمر عمك سليمان، فإن صليت الظهر رددت المظالم، قال: من لك أن تعيش إلى الظهر؟ فخرج ولم يَقِل، فأمر مناديه أن ينادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، فقام إليه رجل ذميّ من أهل حمص، أبيض الرأس واللحية، فقال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله. قال: وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي ـ والعباس جالس ـ فقال له: يا عباس ما تقول؟ قال: أقطعنيها أمير المؤمنين، وكتب لي بها سجلاً، فقال: ما تقول يا ذميّ؟ قال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عزّ وجلّ، فقال: كتاب الله أحق أن يتبع من

كتاب الوليد بن عبد الملك، اردد عليه يا عباس ضيعته، فرد عليه. فجعل لا يدع شيئاً مما كان في يده وفي يد أهل بيته من المظالم إلا ردّها مظلمةً مظلمةً.

● دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه، وهو في قائلته، فأيقظه، وقال: ما يؤمنك أن تُؤتى في منامك وقد رفعت إليك مظالم لم تقض حق الله فيها؟ قال: يا بنيّ إن نفسي مطيتي إن لم أرفق بها لم تبلّغني، إني لو أتعبت نفسي وأعواني لم يك ذلك إلا قليلاً حتى أسقط ويسقطوا، وإني لأحتسب في نومتي من الأجر مثل الذي أحتسب في يقظتي، إن الله جلّ ثناؤه لو أراد أن ينزل القرآن جملةً لأنزله، ولكنه أنزله الآية والآيتين حتى استكن الإيمان في قلوبهم، ثم قال: يا بنيّ ما مما أنا فيه أمر هو أهم إليّ من أهل بيتك هم أهل العدّة والعدد وقبلهم ما قبلهم، فلو جمعت ذلك في يومٍ واحدٍ خشيت انتشاره عليّ، ولكن أنصف من الرجلِ والاثنين فيبلغ ذلك من وراءه فيكون أنجع له، فإن يرد الله تمام هذا الأمر أتمه، وإن تكن الأخرى فحسب عبد أن يعلم الله أنه يحب أن ينصف جميع رعيته.

● قيل لعمر بن عبد العزيز ما تقول في أهل صفين. قال: تلك دماء طهّر الله يدي منها فلا أحب أن أخضّب لساني بها.

● روى إسماعيل بن عياش عن عمرو بن مهاجر: كانت نفقة عمر بن عبد العزيز كل يوم درهمين.

● ذكر الإمام مالك أن سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز تقاولا مرةً، فقال له سليمان في جملة الكلام: كذبت، فقال عمر: تقول كذبت، والله ما كذبت منذ عرفت أن الكذب يضرّ أهله، ثم هجره عمر، وعزم على الرحيل إلى مصر، فلم يمكنه سليمان، ثم بعث إليه فصالحه، وقال له: ما عرض لي أمر يهمّني إلا خطرت على بالي.

● روى أبو داود في سننه أن رسول الله ﷺ، قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنةٍ من يجدد لها أمر دينها»، فقال جماعة من أهل العلم، منهم أحمد بن حنبل ـ فيما ذكره ابن الجوزي وغيره ـ إن عمر بن عبد العزيز كان على رأس المائة الأولى، وإن كان هو أولى من دخل في ذلك وأحق لإمامته وعموم ولايته، وقيامه واجتهاده في تنفيذ الحق، فقد كانت سيرته شبيهةً بسيرة عمر بن الخطاب، وكان كثيراً ما تشبّه به.

● قال مسلمة بن عبد الملك: دخلت على عمر في مرضه، فإذا عليه قميص وسخ، فقلت لفاطمة: ألا

تغسلوا قميص أمير المؤمنين؟ فقالت: والله ماله قميص غيره.

● قال رجاء بن حيوة: لما مات أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، وقام يزيد بن عبد الملك بعده في الخلافة، أتاه عمر بن الوليد بن عبد الملك، فقال ليزيد: يا أمير المؤمنين إن هذا المرائي ـ يعني عمر بن عبد العزيز قد خان من المسلمين كل ما قدر عليه من جوهرٍ ونفيسٍ ودرٌ ثمينٍ في بيتين في داره، وهما مقفولان على ذلك الدرّ والجوهر، فأرسل يزيد إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك، امرأة عمر: بلغني أن عمر خلّف جوهراً ودرّاً في بيتين مقفولين، فأرسلت إليه: يا أخي ما ترك عمر من سَبَدٍ ولا لَبَدٍ[1] إلا ما في هذا المنديل، وأرسلت إليه به، فحلّه فوجد فيه قميصاً غليظاً مرقوعاً، ورداءً قشباً، وجبّةً محشوةً غليظةً واهية البطانة.

فقال يزيد للرسول: قل لها: ليس عن هذا أسأل، ولا هذا أريد، إنما أسأل عما في البيتين.

فأرسلت تقول له: والذي فجعني بأمير المؤمنين،

---

(١) أي لا قليل ولا كثير. السبد: الوبر أو الشعر، واللبد: الصوف، ويكنى بهما عن الإبل والغنم.

ما دخلت هذين البيتين منذ ولي الخلافة، لعلمي بكراهته لذلك، وهذه مفاتيحهما، فحوّل ما فيهما لبيت مالك.

فركب يزيد ومعه عمر بن الوليد حتى دخل الدار، ففتح أحد البيتين، فإذا فيه كرسي من أدم، وأربع آجرات مبسوطات عند الكرسي، وقمقم، فقال عمر بن الوليد: أستغفر الله. ثم فتح البيت الثاني، فوجد فيه مسجداً مفروشاً بالحصى، وسلسلة معلقة بسقف البيت، فيها كهيئة الطوق بقدر ما يدخل الإنسان رأسه فيها إلى أن تبلغ العنق، كان إذا فتر عن العبادة أو ذكر بعض ذنوبه وضعها في رقبته، وربما كان يضعها إذا نعس لئلا ينام. ووجدوا صندوقاً مقفلاً ففُتح فوجدوا فيه سفطاً، ففتحه فإذا فيه دراعة وتبّان[1]، كل ذلك من مسوح غليظ، فبكى يزيد ومن معه، وقال: يرحمك الله يا أخي، إن كنت لتقي السريرة، نقي العلانية. وخرج عمر بن الوليد، وهو مخذول، ويقول: أستغفر الله، إنما قلت ما قيل لي[2].

● كانت قريش تستحسن من الخاطب الإطالة ومن

---

(١) التبان: سراويل صغيرة، تستر العورة المغلظة.

(٢) البداية والنهاية.

المخطوب إليه التقصير، فلما خطب محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان إلى عمر بن عبد العزيز أخته أم عمار بنت عبد العزيز، فتكلم محمد بن الوليد بكلام جاز الحفظ فقال عمر: الحمد لله ذي الكبرياء، وصلى الله على خاتم الأنبياء، أما بعد: فإن الرغبة منك دعيت إلينا، والرغبة فيك أجابت منا، وقد أحسن بك ظنّاً من أودعك كريمته، واختارك ولم يختر عليك.

● قال محمد بن كعب القرظي: عهدت عمر بن عبد العزيز وهو أمير علينا بالمدينة للوليد بن عبد الملك، وهو شاب غليظ، ممتلئ الجسم، فلما استخلف أتيته بخناصرة، فدخلت عليه، وقد قاسى ما قاسى، وإذا هو قد تغيّرت حاله عما كان عليه، فجعلت أنظر إليه نظراً لا أكاد أصرف بصري عنه، فقال: إنك لتنظر إليَّ نظراً ما كنت تنظره إليَّ من قبل يا ابن كعب، قلت: تعجبني، قال: وما عجبك؟ قلت: لما حال من لونك، ونفي من شعرك، ونحُل من جسمك، قال: كيف لو رأيتني يا ابن كعب في قبري بعد ثالثة حين تقع حدقتي على وجنتي، ويسيل منخري وفمي صديداً ودوداً كنت أشدّ لي نكرة.

الفصل الخامس

مَعَ الشِّعْر

تاقت نفس عمر بن عبد العزيز إلى علم اللغة العربية والشعر فأخذ من ذلك حاجته، ولكن لم ينصرف نحوها، فقد قال بعض الشعر، وكان يتمثّل الشعر، ويستمع إلى الشعراء وذلك قبل خلافته فلما استخلف قلَّ اهتمامه بذلك، فلم يعر الشعر اهتمامه بل لم يستمع إلى الشعراء ومدائحهم، فكان أحدهم يقف أمام الباب لا يؤذن له على حين اعتاد أن يدخل على الأمراء والخلفاء يرفع صوته بشعره، وتدوي مدائحه القصر.

١ ـ ما زوي له من شعر، وهو ما كان يكثر من ترداده:

لا خير في عيش امرئٍ لم يكن له
مع الله في دار القرار نصيب
فإن تُعجب الدنيا أناساً فإنها
متاع قليل والزوال قريب

لما استخلف عمر بن عبد العزيز كتب إليه رجل من الشراة يقال له عمرو بهذه الأبيات:

قل للمولى على الإسلام مؤتنفا
وقد يرى أنه رث القوى واهي
إذا رابه معشر عدوّه مأكلة
بنخوة الملك والإسراف والباه
إنا شرينا بدين الله أنفسنا
نبغي بذاك إليه أعظم الجاه
ينهى الولاة بحدّ السيف عن سرفٍ
كفى بذاك لهم من زاجر ناهي
وإن قصدت سبيل الحق يا عمرا
آخاك في الله أمثالي وأشباهي
وإن لحقت بقومٍ كنت واعظهم
في جور سيرتهم فالحكم لله

فأجابه عمر بن عبد العزيز:

يا أيها الرجل المهدي نصيحته
إن المحاسن والتوفيق بالله
إن كان أمر من السلطان تنكره
فما عرا الدين والإسلام بالواهي

هـذا الـكـتـاب كـتـاب الله نـقـرؤه
مـصـدق الـوحـي فـيـنـا آمـر نـاهـي
فقد يزلّ الذي يبغي الهدى رهقاً
عند الشريعة وهو العالم الداهي
الملك يا عمرو ملك الله خالقنا
والحكم يا عمرو مردود إلى الله

قال: فأتاه فبايعه ولم يخرج عليه.

وينسب إلى عمر ما هو شائع في المدينة:

كأن قد شهدت الناس يوم تقسمت
خلائقهم فاخترت منهن أربعا
إعارة سمع كل مغتاب صاحب
وتأبى لعيب الناس إلا تتبعا
وأعجب من هاتين أنك تدعي السـ
ـلامة من عيب الخلائق أجمعا
وأنك لو حاولت فعل إساءةٍ
وكوفئت إحساناً جحدتهما معا

قال رجل لعمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة: تفرغ لنا، فقال:

قد جاء شغل شاغل
وعدلت عن طريق السلامة
ذهب الفراغ فلا فرا
غ لنا إلى يوم القيامة

ويروى له:

ومن الناس من يعيش شقياً
جيفة الليل غافل اليقظة
فإذا كان ذا حياءٍ ودينٍ
راقب الله واتّقى الحفظة
إنما الناس راحل ومقيم
فالذي سار للمقيم عظة

ويروى له:

إني لأمنح من يواصلني
من صفاءٍ ليس بالمذق
وإذا أخ لي حال عن خلقٍ
داويت ذاك منه بالرفق
والمرء يصنع نفسه ومتى
ما تبله يرجع إلى العرق

وقال عمر قبل خلافته:

أنَّهَ الفؤاد عن الصبا
وعن انقياد الهوى
ولعمر ربك إنّ في
شيب المفارق واللحى
لك واعظاً إن كنت تتـ
ـعظ اتعاظ أولي النهى
حتى متى لا ترعوي
حتى متى وإلى متى
ما بعدها سُمّيت كهلاً
استلبت اسم الفتى
بلي الشباب وأنت إن
عمرت رهن للبلى
وكفى بذلك زاجراً
للمرء عن غيٍّ كفى

لما انصرف عمر بن عبد العزيز عن قبر سليمان بن عبد الملك صُفّت له مراكب سليمان فقال:

فلولا التقى ثم النهى خشية الردى
لعاصيت في حبّ الصبا كل زاجر
قضى ما قضى فيما مضى ثم لا يرى
له صبوة أخرى الليالي الغوابر

فإن عاد في أمرٍ يسوءك بعدها
فليس له منك استقالة عاذر

كان الشعبي واقفاً على رأس عمر بن عبد العزيز، فأطال الوقوف، فقال: إنك لواقف يا شعبي؟ فقال: إني لواقف، فقال: خذ إليك يا شعبي:

هب الدنيا تزفّ إليك زفّا
زفاف عرائس باكرن قصفا
وقد ملكتها شرقاً وغربا
حويت بجمعها براً وطفا
يجئن بألف ألفٍ كل يوم
ويتبع ألفَها سبعون ألفا
إذا عاديت قوماً في بلادٍ
أتيت على جميع الناس عسفا
ألست ملاقياً لا شكّ فيه
وإن عمرت طول الدهر حتفا
فما ترجو بدارٍ قد تراها
بكل سرورها أبداً تكفّا

وقال عمر بن عبد العزيز:

أنا ميت وعزّ من لا يموت
قد تيقّنت أنني سأموت

ليس ملك يزيله الموت ملكاً

إنما الملك ملك من لا يموت

٢ ـ وقد مدحه الشعراء في إمارته على المدينة، فمدحه كثير بن عبد الرحمٰن الخزاعي، ومن ذلك قوله:

تكلّمت بالحقّ المبين وإنما

تبين آيات الهدى بالتكلم

وصدقت موعود الذي قلت بالذي

فعلت فأمسى راضياً كل مسلم

وأظهرت نور الحق فاشتدّ ضوؤه

على كل لبس فارق الحق مظلم

وعاقبت فيما قد تقدمت قبله

وأعرضت عما كان قبل التقدّم

وليت فلم تشتم علياً ولم تُخف

بريئاً ولم تتبع سجية مجرم

وقد لبست لبس الملوك ثيابها

تراءى لك الدنيا بكفٍّ ومعصم

وتومض أحياناً بعينٍ مريضةٍ

وتبسم عن مثل الجمان المنظم

فأعرضت عنها مشمئزاً كأنما

سقتك مدوفاً من سمامٍ وعلقم

وقد كنت من أجبالها في ممنعٍ
ومن بحرها في زاخر الموج مفعم

وقال كثير فيه أيضاً:

هو المرء لا يبدي الأسى في مصيبةٍ
ولا فرحاً يوماً إذا النفس سرت
قليل الألايا[1] حافظ ليمينه
وإن بدرت منه الألية برّت

ومدحه جرير بقصيدة منها:

إليك رحلت يا عمر بن ليلى
على ثقةٍ أزورك واعتمادا
تعوّد صالح الأعمال إني
رأيت المرء يلزم ما استعادا
إلى الفاروق تنسب يا ابن ليلى
ومروان الذي رفع العمادا
فما كعب بن مامة[2] وابن سعدى[3]
بأكرم منك يا عمر الجوادا

---

(١) الألايا: جمع ألية وهي اليمين.
(٢) كعب بن مامة هو الأيادي.
(٣) ابن سعدى: أوس بن حارثة بن لام الطائي.

هنيئاً للمدينة إذ أهلّت
بأهل الملك أبدى ثم عادا
يعود الملك منك على قريشٍ
وتُفرج عنهم الكرب الشدادا
وقد لينت وحشتهم برفقٍ
ويغني الناس وحشك أن يصادا
وتبني المجد يا عمر بن ليلى
وتكفي الممحل السنة الجمادا
وتدعو الله مجتهداً ليرضى
وتذكر في رعيتك المعادا
ونعم أخو الحروب إذا تردى
على الزعف المضاعفة النجادا
وأنت أبو الحضارم من قريشٍ
هم نصروا النبوة والجهادا
وقادوا المؤمنين ولم تعود
غداة الروع خيلهم القيادا
إذا فاضلت مدك من قريشٍ
بحور عمّ زاخرها الثمادا

٣ ـ وكثيراً ما كان عمر بن عبد العزيز يتمثّل بالشعر. وقد قال في مقبرة حملوا إليها جنازةً بـ:

تسرّ بما يفنى وتشغل بالصبا
كما غرّ باللذّات في النوم حالم
نهارك يا مغرور لسهوٍ وغفلةٍ
وليلك نوم والردى لك لازم
وتعمل فيما سوف تكره غبه
كذلك في الدنيا تعيش البهائم

وكان يتمثّل بهذه الأبيات وهو يلوم نفسه:

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم
وكيف تطيق النوم حيران هائم
فلو كنت يقظان الغداة لحرقت
محاجر عينيك الدموع السواجم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة
وليلك نوم والردى لك لازم
وتشغل فيما سوف تكره غبه
كذلك في الدنيا تعيش البهائم
بل أصبحت في النوم الطويل وقد دنت
إليك أمور مفظعات عظائم[1]

كان عمر بن عبد العزيز يسير ذات يومٍ في

---

(١) الأبيات لابن عبد الأعلى.

جماعةٍ، فلما كثر الغبار تلثم، ثم ذكر أبياتاً قالها ابن عبد الأعلى القرشي، فجبذ اللثام، ثم أنشأ يقول:

من كان حيث تصيب الشمس جبهته
أو الغبار يخاف الشين والشعثا
ويألف الظّل كي تبقى بشاشته
فسوف يسكن يوماً راغماً جدثا
في قعر مظلمةٍ غبراء مقفرةٍ
يطيل تحت الثرى في قعرها اللبثا
تجهّزي بجهازٍ تبلغين به
يا نفس قبل الردى، لم تخلقي عبثا

وقيل أن هذه الأبيات لعمر بن عبد العزيز، وقيل: بل هي لابن عبد الأعلى ولها قصة:

كان عمر بن عبد العزيز وجه ابن عبد الأعلى بن أبي عمرة رسولاً إلى طاغية الروم يدعوه إلى الإسلام، فقال له ابن عبد الأعلى: ائذن لي في بعض ولدي يخرج معي ـ وكان أبا عشرة ـ فقال له: ومن يخرج من ولدك؟ فقال: عبد الله. فقال: إني رأيت عبد الله يمشي مشية مقتُّها، وبلغني أنه يقول الشعر، فقال ابن عبد الأعلى: يا أمير المؤمنين أما مشيته فغريزة هي فيه، وأما الشعر فإنه نواحة ينوح على نفسه، فقال: مُرْ عبد الله يأتيني العشية،

وأخرج معك غيره، فراح به إليه، فدخل عليه، فاستنشده فأنشده:

تجهّزي بجهازٍ تبلغين به
يا نفس قبل الردى، لم تخلقي عبثا
وسابقي بغتة الآجال وانكمشي
قبل اللزوم فلا منجى ولا غوثا
ولا تكدي لمن يبقى وتفتقري
إن الردى وارث الباقي وما ورثا
واخشي حوادث صرف الدهر في مهلٍ
واستيقظي لا تكوني كالذي بحثا
عن مديةٍ كان فيها قطع مدته
فوافت الحرث موفوراً كما حرثا
لا تأمني فجع دهر مترفٍ ختلٍ
قد استوى عنده من طاب أو خبثا
يا رُبّ ذي أملٍ فيه على وجلٍ
أضحى به آمناً أمسى وقد حدثا
من كان حيث تصيب الشمس جبهته
أو الغبار يخشى الشين والشعثا
ويألف الظلّ كي تبقى بشاشته
فسوف يسكن يوماً راغماً جدثا

في قعر موحشةٍ غبراء مقفرةٍ
يطيل تحت الثرى في قعرها اللبثا

وكان يتمثّل:

أنا عائذ بالله من شرّ نعمةٍ
تقرّ بها عيناي فيها رداهما

وكان يتمثل بهذه الأبيات:

يرى مستكيناً وهو للهو ماقت
به عن حديث القوم ما هو شاغله
وأزعجه علم عن الجهل كلّه
وما عالم شيئاً كمن هو جاهله
عبوس عن الجهّال حين يراهم
فليس له منهم خدين يهازله
تذكر ما يبقى من العيش آجلاً
فأشغله عن عاجل العيش آجله

لما مات مخلد بن يزيد بن المهلب صلّى عليه عمر بن عبد العزيز ثم تمثّل:

بكوا حذيفة لن تبكوا مثله
حتى تبيد قبائل لم تخلق

وكان يتمثّل بهذه الأبيات:

الحلم والعلم خلتا كرمٍ
للمرء زين إذا هما اجتمعا
صنوان لا يستتم حسنهما
إلا بجمع لذا وذاك معا
كم من وضيعٍ سما به الحلم والعـ
ـلم فحاز الثناء وارتفعا
ومن رفيع البناء أضاعهما
أخمله ما أضاع فاتضعا

وكان يتمثل:

الق بالبشر من لقيت من النا
س جميعاً ولاقهم بالطلاقه
تحو منهم به جناء ثمار
طيباً طعمه لذيد المذاقه
ودع التيه والعبوس على الناس
فإن العبوس رأسه الحماقه
كلما شئت أن تعادي عاديت
صديقاً وقد تعزّ الصداقه

كان يتمثل:

فما تزوّد مما كان يجمعه
إلا حنوطاً غداه البين مع خرق
وغير نفخة أعوادٍ تُشبّ له
وقلّ ذلك من زادٍ لمنطلق

ذكر عمر بن عبد العزيز الموت يوماً فقال متمثلاً:

ألم تر أن الموت أدرك من مضى
فلم ينج منه ذو جناحِ ولا ظفر

ثم دعا بسبعة دنانير فتصدق بها، ثم قال: نستقرض حتى يأتي العطاء.

٤ ـ لما استخلف عمر بن عبد العزيز لم يحب أن يأتيه الشعراء مادحين، وأن يكثر المدح ويبالغ فيه، وإذا انتشر المدح ساد الهجاء أيضاً وماج المجتمع بين مادحٍ وقادح فلما استخلف نهضت إليه الشعراء من الحجاز والعراق فكان فيمن حضر نصيب، وجرير، والفرزدق، والأحوص، وكثير، والحجاج القضاعي، والأخطل، فمكثوا شهراً لم يؤذن لهم، ولم يكن لعمر فيهم رأي ولا أرب، وإنما كان رأيه، وبطانته، وأهل أربه القراء والفقهاء، ومن وُسِم عنده بورع، يبعث إليهم حيث كانوا من بلدانهم. فوافق جرير قدوم عون بن عبد الله بن

عتبة بن مسعود الهذلي، وكان ورعاً، فقيهاً، مفوهاً في المنطق نظير الحسن بن أبي الحسن البصري في منطقه، فرآه جرير على باب عمر مشمّر الثياب معتماً على كمة لاصقةٍ برأسه وقد ألقى ضيفتيها بين كتفيه فقال جرير:

يا أيها القارئ المرخي عمامته
هذا زمانك إني قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه
أني لدى الباب كالمصفود في قرن

فقال له عون: من أنت؟ فقال: جرير، قال: إنه لا يحلّ لك عرضي. قال: فاذكرني للخليفة. قال: إن رأيت موضعاً فعلت. ثم قال: هذا جرير بالباب فأحرز لي عرضي منه. فأذن لجرير فدخل عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، إني أُخبرت أنك تحبّ أن تُوعظ ولا تطرى، فائذن لي في الكلام، فأذن له، فقال:

لجت أمامة في أمري وما علمت
عرض اليمامة روحاتي ولا بكري
ما هوّم القوم مذ شدّوا رحالهم
إلا عشاشاً لدى أعصارها اليسري
يصرحن صرح حصى المعزى إذا وقعت
شمس النهار وعاد الظلّ للقمر

زرت الخليفة من أرضٍ على قدرِ
كما أتى موسى ربه على قدر
إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا
من الخليفة ما نرجو من المطر
أأذكر الضرّ والبلوى التي نزلت
أم أكتفي بالذي أنبئت من خبري
ما زلت بعدك في دارٍ تقحمني
وضاق بالحيّ أصعادي ومنحدري
لا ينفع الحاضر المجهود بادينا
ولا يعود لنا بادٍ على حضري
كم بالمواسم من شعثاء أرملةٍ
ومن يتيمٍ ضعيف الصوت والنظر
أذهبت خلته حتى دعا ودعت
يا رب بارك لطرّ الناس في عمر
ممن نعدك تكفي فقد والده
كالفرخ في الوكر لم ينهض ولم يطر
هذي الأرامل قد قضيت حاجتها
فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر

فترقرقت عينا عمر، وقال: إنك لتصف جهدك، فقال: ما غاب عني وعنك أشدّ، قال: فجهّز إلى

الحجاز عيراً تحمل الطعام، والكسي، والعطاء يبث في فقرائهم، ثم قال: أخبرني أمن المهاجرين أنت يا جرير؟ قال: لا. قال: فبينك وبين الأنصار رحم أو قرابة أو صهر؟ قال: لا، قال: فممن يقاتل على الفيء أنت ويجلب على عدو المسلمين؟ قال: لا. قال: فلا أرى لك في شيء من هذا الفيء حقاً. قال: بلى، والله لقد فرض الله لي فيه حقاً إن لم تدفعه عني. قال: ويحك وما حقك؟ قال: ابن السبيل أتاك من شقةٍ بعيدةٍ فهو منقطع به على بابك. فقال: إذن أُعطيك. فدعا بعشرين ديناراً فضلت من عطائه فقال: هذه فضلت من عطائي وإنما يعطى ابن السبيل من مال الرجل، ولو فضل أكثر من هذا أعطيتك فخذها فإن شئت فاحمد وإن شئت فذم. قال: بل أحمد يا أمير المؤمنين. فخرج فجهشت إليه الشعراء، وقالوا: ما وراءك يا أبا حرزة؟ قال: ليلحق الرجل منكم بمطيته، فإني خرجت من عند رجل يعطي الفقراء ولا يعطي الشعراء، قال:

وجدت رقى الشيطان لا تستفزه

وقد كان شيطاني من الجن راقياً

وقيل: لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد الشعراء إليه فأقاموا ببابه أياماً لا يؤذن لهم فبينما هم

كذلك يوماً وقد أزمعوا على الرحيل إذ مرّ بهم رجاء بن حيوة ـ وكان من خطباء أهل الشام ـ فلما رآه جرير داخلاً على عمر بن عبد العزيز أنشأ يقول:

يا أيها الرجل المرخي عمامته
هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

فدخل ولم يذكر من أمرهم شيئاً. ثم مرّ عدي بن أرطأة، فقال جرير:

يا أيها الراكب المزجي مطيته
هذا زمانك إني قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه
أني لدى الباب كالمصفود في قرن
لا تنس حاجتنا لقيت مغفرةً
قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

فدخل عدي على عمر فقال: يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة، وأقوالهم نافذة، قال: ويحك يا عدي مالي وللشعراء، قال: أعزّ الله أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ قد امتدح وأعطى، ولك في رسول الله ﷺ، أسوة. قال: كيف؟ قال: امتدحه العباس بن مرداس السلمي فأعطاه حلّةً قطع بها لسانه،

قال: وتروي من قوله شيئاً؟ قال: نعم، وأنشده:

رأيتك يا خير البريّة كلّها
نشرت كتاباً جاء بالحق معلما
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا
عن الحق لما أصبح الحق مظلما
وفردت بالتبيان أمراً مدنساً
وأطفأت بالبرهان ناراً تضرما
فمن مبلغ عني النبي محمداً
وكل امرئ يجزى بما كان قدما
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه
وكان قديماً ركنه قد تهدّما
تعالى علواً فوق عرش إلهنا
وكان مكان الله أعلى وأعظما

قال: ويحك يا عدي من بالباب؟ قال: عمر بن أبي ربيعة. قال أليس يقول:

ثم نبّهتها فهبّت كعابا
طلقة ما تبين رجع الكلام
ساعة ثم أنها بعد قالت
ويلنا قد عجلت يا ابن الكرام

أعلى غير موعدٍ جئت تسري

تتخطى إلى رؤوس النيام

فلو كان عدوّ الله إذ فجر، كتم على نفسه، لا يدخل والله عليّ أبداً. بالباب سواه؟ قال: همام بن غالب ـ يعني الفرزدق ـ قال: أو ليس هو الذي يقول:

هما دلتاني من ثمانين قامةً

كما انقضَّ باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا

أحيّ يرجّى أم قتيل نحاذره

لا يطأ والي بساطي، فمن سواه بالباب؟ قال: الأخطل. قال: يا عديّ أليس هو الذي يقول:

ولست بصائم رمضان طوعاً

ولست بآكل لحم الأضاحي

ولست بزاجرٍ عيساً بكوراً

إلى بطحاء مكّة للنجاح

ولست بزائرٍ بيتاً بعيداً

بمكة أبتغي فيه صلاحي

ولست بقائمٍ كالعبد أدعو

قبيل الصبح حيّ على الفلاح

ولـكـنـي سـأشـربـهـا شـمـولاً
وأسـجـد عـنـد مـنـبـلـج الـصـبـاح

والله لا يدخل عليّ وهو كافر أبداً، فهل بالباب سوى من ذكرت؟ قال: نعم، الأحوص. قال: أليس هو الذي يقول:

الله بـيـنـي وبـيـن سـيـدهـا
يـفـرّ مـنـي بـهـا وأنـا أتـبـعـه

قال: فمن هاهنا أيضاً؟ قال: جميل بن معمر. قال: يا عدي أليس هو الذي يقول:

أيا ليتنا نحيا جميعاً وإن أمت
يوافق في الموتى ضريحي ضريحها
فما أنا في طول الحياة براغبٍ
إذا قيل قد سوى عليها صفيحها

لو كان عدوّ الله تمنّى لقاءها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحاً، والله لا يدخل عليّ أبداً، فهل سوى من ذكرت أحد؟ قال: نعم، جرير بن عطية. قال: أما أنه الذي يقول:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا
حين الزيارة فارجعي بسلام

فإن كان لا بدّ فهو. فأذن لجرير فدخل وهو يقول:

إن الذي بعث النبي محمدا
جعل الخلافة للإمام العادل
وسع الخلافة عدله ووقاره
حتى ارعوى وأقام ميل المائل
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً
والنفس مولعة بحبّ العاجل

فلما مثل بين يديه قال: ويحك يا جرير، اتق الله، ولا تقل إلا حقاً، فأنشأ يقول:

أأذكر الصبر والبلوى التي نزلت
أم قد كفاني ما بلغت من خبري
كم باليمامة من شعثاء أرملةٍ
ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
ممن يعدك تكفي فقد والده
كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر
يدعوك دعوة ملهوفٍ كأن به
خبلاً من الجنّ أو مسّاً من البشر
خليفة الله ماذا تأمرون بنا
لسنا إليكم ولا في دار منتظر

ما زلت بعدك في همٍّ يُؤرّقني
قد طال في الحي أصعادي ومنحدري
لا ينفع الحاضر المجهود بادينا
ولا يعود لنا بادٍ على حضري
إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا
من الخليفة ما نرجو من المطر
زان الخلافة إذ كانت له قدراً
كما أتى ربّه موسى على قدر
هذي الأرامل قد قضيت حاجتها
فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر
الخير ما دمت حيّاً لا يفارقنا
بوركت يا عمر الخيرات من عمر

فقال: يا جرير ما أرى لك فيما هاهنا حقاً. قال: بلى يا أمير المؤمنين أنا ابن السبيل ومنقطع بي، فأعطاه من صلب ماله مائة درهم، وقد ذُكر أنه قال: ويحك يا جرير لقد وُلّينا هذا الأمر وما نملك إلا ثلاثمائة درهم، فمائة أخذها عبد الله، ومائة أخذتها أم عبد الله، يا غلام أعطه المائة الباقية، فأخذها وقال: والله لهي أحب ما اكتسبته إليّ من مال. ثم خرج، فقال له الشعراء: ما وراءك؟ قال: ما يسوءكم، خرجت من عند أمير

المؤمنين، وهو يعطي الفقراء، ويمنع الشعراء، وإني عنه لراض، وأنشأ يقول:

رأيت رقى الشيطان لا تستفزّه
وقد كان شيطاني من الجنّ راقياً

وهذا يدلّ على أن عمر بن عبد العزيز كانت له معرفة بالشعر، ويحفظه، وينظمه.

الفصل السّادس

النّصائح والاعتبار

نظر عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، إلى الحكم في الرعية فخشي مجانبة الحق فيسأل عن ذلك يوم القيامة، وخاف أن تُزيّن له بعض الأعمال فيبتعد عن الصواب، كما كان يحذر أن يسكت إخوانه من أعماله فيقع في الخطأ، وإذا كان في الدنيا يسيراً، فهو في يوم الحساب عسير يوم لا ينفع مال ولا بنون، ولا يصلح سلطان ولا جنود. لذا كان يطالب أعوانه بالنصح، ويدعو جلساءه لإرشاده إلى الخير إن غفل وتنبيهه إلى الحق إن سها. فقال لجلسائه: من صحبني منكم فليصحبني بخمس خصال: يدلّني من العدل إلى ما لا أهتدي إليه، ويكون لي على الخير عوناً، ويبلغني حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ولا يغتاب عندي أحداً، ويؤدّي الأمانة التي حملها مني ومن الناس، فإذا كان كذلك فحي هلا به وإلا فهو خرج من صحبتي والدخول عليّ.

وقد كتب إليه الواعظون يعظونه، ونصحه الناصحون، وذكّره الرجال المقرّبون، ونبّهه الأعوان.

١ ـ كتب إليه الحسن البصري: أما بعد، اعلم يا أمير المؤمنين أن الدنيا دار ظعن وليست بدار إقامة، وإنما أُهبط إليها آدم من الجنة عقوبة، وقد يحسب من لا يدري ما ثواب الله أنها ثواب ومن لا يدر ما عقاب الله أنها عقاب. ولها في كل حين صرعة، وليست صرعة كصرعة، هي تهين من أكرمها، وتذلّ من أعزّها، وتصرع من آثرها، ولها في كل حينٍ قتلى، فهي كالسم يأكله من لا يعرفه، وفيه حتفه، فالزاد فيها تركها، والغنى فيها فقرها. فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحه، يصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء، يحتمي قليلاً مخافة ما يكره طويلاً، فإن أهل الفضائل كان منطقهم فيها بالصواب، ومشيهم بالتواضع، ومطعمهم الطيب من الرزق، مغمضي أبصارهم عن المحارم، فخوفهم في البر كخوفهم في البحر، ودعاؤهم في السراء كدعائهم في الضراء، ولولا الآجال التي كتبت لهم ما تفاوت أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العقاب وشوقاً إلى الثواب، عظم الخالق في نفوسهم فصغر المخلوقون في أعينهم. واعلم يا أمير المؤمنين أن التفكر يدعو إلى الخير والعمل به،

وإن الندم على الشر يدعو إلى تركه، وليس ما يفنى وإن كان كثيراً بأهلٍ أن يؤثر على ما يبقى وإن كان طلبه عزيزاً، واحتمال المؤونة المنقطعة التي تعقب الراحة الطويلة خير من تعجيل راحة منقطعةٍ تعقب مؤونةً باقيةً وندامةً طويلةً. فاحذر هذه الدنيا الصارعة، الخاذلة، القاتلة، التي قد تزينت بخدعها، وفتكت بغرورها، وخدعت بآمالها فأصبحت كالعروس المجلية، فالعيون إليها ناظرة، والقلوب عليها والهة، والنفوس لها عاشقة، وهي لأزواجها كلهم قاتلة، فلا الباقي بالماضي معتبر، ولا الآخر لما رأى من أثرها على الأول مزدجر، ولا العارف بالله المصدق له حين أخبره عنها مدكر، قد أبت القلوب إلاّ لها حُبّاً، وأبت النفوس لها إلا عشقاً، ومن عشق شيئاً لم يلهم غيره، ولم يعقل سواه مات في طلبه، وكان آثر الأشياء عنده، فهما عاشقان طالبان مجتهدان، فعاشق قد ظفر منها بحاجته فأغنته وطغى ونسي ولهاً فغفل عن مبتدإ خلقه، وضيّع ما إليه معاده، فقلّ في الدنيا لبثه حتى زالت عنه قدمه وجاءت منيّته على أسرّ ما كان منها حالاً، وأطول ما كان فيها أملاً، فعظم ندمه، وكثرت حسرته مع ما عالج من سكرته، فاجتمعت عليه سكرة الموت بكربته، وحسرة الفوت بغُصّته فغير موصوف ما نزل به، وآخر مات من قبل أن

يظفر منها بحاجته، فمات بغمّه وكمده، ولم يدرك فيها ما طلب، ولم يرح نفسه من التعب والنصب فخرجا جميعاً بغير زاد، وقدما على غير مهاد، فاحذرها يا أمير المؤمنين الحذر كله، فإنما مثلها كمثل الحية لين مسّها تقتل بسمها؛ فأعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لما قد أيقنت من فراقها، واجعل شدّة ما اشتدّ منها رجاء ما ترجو بعدها، وكن عند أسرّ ما تكون فيها احذر ما تكون لها، فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور صحبته من سرورها بما يسوؤه، وكلما ظفر منها بما يحب انقلبت عليه بما يكره. فالسار منها لأهلها غار، والنافع منها غداً ضار. وقد وصل الرخاء فيها بالبلاء وقرن البقاء فيها بالفناء، فسرورها بالحزن مشوب. والناعم فيها مسلوب. فانظر يا أمير المؤمنين إليها نظر الزاهد المفارق ولا تنظر نظر المبتلى العاشق. واعلم أنها تزيل الثاوي بالساكن، وتفجع المترف فيها الآمن، ولا ترجع ما تولّى وأدبر ولا بد ما هو آتٍ منها ينتظر، ولا يتبع ما صفا منها إلا كدر. فاحذرها فإن أمانيها كاذبة، وآمالها باطلة، وعيشها نكد، وصفوها كدر، وأنت منها على خطر، إما نعمة زائلة، وإما بلية نازلة، وإما مصيبة فادحة، وإما منيّة قاضية، فلقد كدرت المعيشة لمن عقل، فهو من نعيمها على

خطر، ومن بليتها على حذرٍ، ومن المنية على يقين. فلو كان الخالق تبارك وتعالى لم يخبر عنها بخبر، ولم يضرب مثلاً، ولم يأمر فيها بزهدٍ لكانت الدنيا قد أيقظت النائم، ونبّهت العاقل، فكيف وقد جاء عن الله عزّ وجلّ منها زاجر وفيها واعظ. فمالها عنده ولا وزن من الصغر، فهي عنده أصغر من حصاة في الحصى، ومن مقدار نواةٍ في النوى، ما خلق الله عزّ وجلّ أبغض إلى الله تعالى منها. ما نظر إليها منذ خلقها. ولقد عرضت على نبينا محمد ﷺ، بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها، وما منعه من القبول لها ـ مع مالا ينقصه الله شيئاً مما عنده كما وعده ـ إلا أنه علم أن الله عزَّ وجلَّ أبغض شيئاً فأبغضه، وصغّر شيئاً فصغّره؛ ولو قبلها كان الدليل على محبته قبوله إياها، ولكنه كره أن يخالف أمره أو يحبّ ما أبغض خالقه أو يرفع ما وضع مليكه.

ولا تأمن أن يكون هذا الكلام حجةً عليك. نفعنا الله وإياك بالموعظة والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

٢ ـ كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري عظني، فكتب إليه الحسن: أما بعد يا أمير المؤمنين فكن

للمثل من المسلمين أخاً، وللكبير ابناً، وللصغير أباً، وعاقب كل واحدٍ منهم بذنبه على قدر جسمه، ولا تضربن لغضبك سوطاً واحداً فتدخل النار.

٣ ـ وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: واعلم أن الهول الأعظم ومفظعات الأمور أمامك لم يقطع منها بعد، وإنه لا بدّ والله لك من مشاهدة ذلك ومعاينته إما بالسلامة والنجاة منه وإما بالعطب.

٤ ـ وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري: عظني وأوجز، فكتب إليه:

أما بعد، فإن رأس ما هو مصلحك ومصلح به على يدك الزهد في الدنيا، وإنما الزهد باليقين، واليقين بالتفكّر والتفكّر بالاعتبار، فإذا أنت تفكّرت في الدنيا لم تجدها أهلاً أن تبيع بها نفسك، ووجدت نفسك أهلاً أن تكرمها بهوان الدنيا، فإنما الدنيا دار بلاءٍ ومنزلة غفلةٍ.

٥ ـ وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فلو كان لك عمر نوح، وملك سليمان، ويقين إبراهيم، وحكمة لقمان، فإن أمامك هول الموت ومن ورائه داران، فإن أخطأتك هذه صرت إلى هذه. فبكى عمر بكاءً شديداً.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى فقهاء العراق أن يأتوه، فاعتلّ الحسن بفتق في بطنه وكتب إليه: يا أمير المؤمنين: إن استقمت استقاموا، وإن ملت مالوا. يا أمير المؤمنين: لو أن لك عمر نوح، وسلطان سليمان، ويقين إبراهيم وحكمة لقمان ما كان لا بد من أن تقتحم العقبة، ومن وراء العقبة الجنة والنار، ومن أخطأته هذه دخل هذه.

فلما أتاه الكتاب أخذه فوضعه على عينيه، ثم بكى، ثم قال: من لي بعمر نوح، ويقين إبراهيم، وسلطان سليمان، وحكمة لقمان، ولو نلت ذلك لم يكن بد من أن أشرب بكأس الأولين.

٦ ـ كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإن طول البقاء إلى فناء ما هو، فخذ من فنائك الذي لا يبقى لبقائك الذي لا يفنى والسلام. فلما قرأ عمر الكتاب بكى، وقال: نصح أبو سعيد وأوجز.

٧ ـ كتب عمر بن عبد العزيز إلى طاووس كتاباً يسأله عن بعض ما هو فيه، فأجابه بعشر عبارات، فما أتى عمر كتاب كان أعجب إليه منه، كتب إليه: سلام عليك يا أمير المؤمنين، فإن الله عزّ وجلّ أنزل كتاباً

وأحلّ فيه حلالاً، وحرّم فيه حراماً، وضرب فيه أمثالاً، وجعل بعضه محكماً، وبعضه متشابهاً، فأحلّ حلال الله، وحرم حرام الله، وتفكر في أمثال الله، واعمل بمحكمه، وآمن بمتشابهه، والسلام عليك.

٨ ـ كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب: أما بعد، فإن الله تبارك اسمه وتعالى جده ابتلاني بما ابتلاني به من أمركم من غير مشورةٍ مني فيه إلا طلب إلا قضاء من الرحمٰن الرحيم، فأسأل الذي ابتلاني بما ابتلاني به من أمر عباده وبلاده أن يحسن عوني وعاقبتي وعاقبة من ولأني أمره، وقد رأيت أن أسير في الناس بسيرة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إن قضى الله ذلك، واستطعت إليه سبيلاً. فابعث إليّ بكتب عمر وقضائه في أهل القبلة وأهل العهد فإني متبع أثره وسائر بسيرته إن شاء الله تعالى، وأسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى.

فأجابه سالم:

أما بعد، فإن الله عزّ وجلّ خلق الدنيا لما أراد أن يخلقها له، فجعل لها مدةً قصيرةً، كأن ما بين أولها وآخرها ساعة من نهار، ثم قضى عليها وعلى أهلها الفناء، فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ ﴾[1] لا يقدر أهلها منها يا عمر على شيء حتى تفارقهم ويفارقونها، بعث بذلك رسوله، وأنزل كتابه، ضرب في ذلك الأمثال، وضرب فيه الوعيد، جعل دينه في الأولين والآخرين ديناً واحداً، فلم يختلف رسله، ولم يبدّل قوله. ثم إنك يا عمر لست تعدو أن تكون رجلاً من بني آدم يكفيك ما يكفي لرجلٍ منهم من الطعام والشراب فاجعل فضل ذلك فيما بينك وبين الرب الذي توجه إليه شكر النعم، فإنك قد وليت أمراً عظيماً ليس يلي عليك أحد دون الله عزّ وجلّ، إن استطعت أن لا تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة فافعل، فإنه قد كان قبلك رجال عملوا ما عملوا، وأحيوا ما أحيوا، وأتوا ما أتوا حتى ولد في ذلك رجال ونشأوا فيه، وظنوا أنها السنة فسدّوا على الناس أبواب الرخاء، فلم يسدّوا منها باباً إلا فتح الله عليهم باب بلاء، فإن استطعت ـ ولا قوة إلا بالله ـ أن تفتح على الناس أبواب الرخاء فافعل، فإنه لم تفتح منها باباً إلا سدّ الله الكريم عنك باب بلاء، ولا يمنعك من نزع أن تقول: لا أحد من يكفيني عمله، فإنك إن كنت تنزع لله وتستعمل لله أتاح الله لك أعواناً فأتاك بهم، وإنما قدر عون الله إياك بقدر نيتك، فإن

---

(١) سورة القصص: الآية ٨٨.

تمت نيتك تمّ عون الله الكريم إياك، وإن قصرت نيتك قصر من الله العون بحسب ذلك. واعلم أنه كان قبلك رجال عاينوا هول المطلع وعالجوا نزع الموت الذي كانوا منه يفرون فانشقت بطونهم التي كانوا لا يشبعون بها، وانفقأت أعينهم التي كانوا لا تنقطع لذتها، واندقت رقابهم غير موسدين بعدما نعلم من تظاهر الفرش، والمرافق والسرر، والخدم فصاروا جيفاً في بطون الأراضي تحت مهادها. والله لو كانوا إلى جانب مسكين لتأذى بريحهم بعد إنفاق مالا يحصى عليهم وعلى خواصهم من الطيب. كل ذلك إسرافاً فإنا لله وإنا إليه راجعون. ما أعظم الذي ابتليت به، وأفظع الذي سيق إليك. أهل العراق أهل العراق أبرهم منك منزلةً من لا فقر بك إليه ولا غنى بك عنه. فمن بعثت من عمالك إلى العراق فانهه نهياً شديداً شبيهاً بالعقوبة عن أخذ الأموال وسفك الدماء إلا بحقها. المال المال يا عمر والدم، فإنه لا نجاة لك من هول جهنم من عاملٍ بلغك ظلمه ثم لم تغيّره، وانهَ من بعثت من عمالك أن يعملوا بمعصية أو أن يحكموا بشبهةٍ، أو أن يحتكروا على المسلمين بيعاً فإنك إن اجترأت على ذلك أتي بك يوم القيامة ذليلاً صغيراً، وإن تجنبت عنه عرفت راحته في سمعك وبصرك وقلبك، كتبت إليّ تسألني أن أبعث إليك

بكتب عمر وبقضائه في أهل القبلة وفي أهل العهد، وأن عمر، رضي الله عنه، عمل في غير زمانك، وعمل بغير رجالك، وإنك إن عملت في زمانك على النحو الذي عمل عمر بن الخطاب في زمانه بعد الذي رأيت وبلوت ورجوت أن تكون أفضل عند الله منزلة من عمر بن الخطاب. فقل كما قال العبد الصالح: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾[1].

وعن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أن عمر بن عبد العزيز كتب إليه: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى سالم بن عبد الله. سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إلٰه إلا هو. أما بعد: فإن الله ابتلاني بما ابتلاني به من أمر هذه الأمة من غير مشاورةٍ مني فيها، ولا طلبة مني لها إلا قضاء الرحمٰن وقدره فأسال الذي ابتلاني من أمر هذه الأمة بما ابتلاني به أن يعينني على ما ولاّني، وأن يرزقني منهم السمع والطاعة وحسن المؤازرة، وأن يرزقهم مني الرأفة والمعدلة، فإذا أتاك كتابي هذا فابعث إليّ بكتب عمر بن الخطاب، وسيرته، وقضاياه في أهل القبلة وأهل العهد، فإني متبع

---

(١) سورة هود: الآية ٨٨.

أثر عمر، وسائر بسيرته إن أعانني الله على ذلك والسلام. فكتب سالم إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من سالم بن عبد الله بن عمر إلى عبد الله عمر أمير المؤمنين. سلام عليك. فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد:

فإن الله خلق الدنيا لما أراد وجعل لها مدةً قصيرةً، كأن بين أولها وآخرها ساعة من نهار، ثم قضى عليها وعلى أهلها الفناء فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1]. لا يقدرون منها أهلها على شيء حتى تفارقهم ويفارقونها. أنزل بذلك كتابه وبعث به رسله، وقدم فيه بالوعيد، وضرب فيه الأمثال، ووصل به القول، وشرع فيه دينه في الأولين والآخرين ديناً واحداً، لم يفرق بين كتبه، ولم يختلف رسله، ولم يشق أحداً من أمره بشيء سعد به أحد، ولم يسعد أحداً من أمره بشيء شقي به أحد.

وإنك اليوم يا عمر لم تعد أن تكون إنساناً من بني آدم يكفيك من الطعام والشراب والكسوة ما يكفي رجلاً

---

(١) سورة القصص: الآية ٨٨.

منهم، فاجعل فضل ذلك فيما بينك وبين الرب الذي توجه إليه شكر النعم، فإنك قد وليت أمراً عظيماً ليس يليه أحد دون الله قد أقصى فيما بينك وبين الخلائق، فإن استطعت أن تغنم نفسك وأهلك، ولا تخسر نفسك وأهلك فافعل ولا قوة إلا بالله.

فإنه قد كان قبلك رجال عملوا ما عملوا وأماتوا ما أماتوا من الحق، وأحيوا ما أحيوا من الباطل، حتى ولد فيه رجال ونشأوا فيه وظنوا أنها السنة، ولم يسدوا على العباد باب رخاء إلا فتح الله عليهم باب بلاء، فإن استطعت أن تفتح عليهم أبواب الرخاء فإنك لا تفتح منها باباً إلا سُدّ به عليك باب بلاء. ولا يمنعك من نزع عاملٍ أن تقول: لا أجد من يكفيني عمله. وإنك إذا كنت تنزع لله وتعمل لله أتاح الله لك رجالاً وجاءك بأعوان، وإنما العون من الله على قدر النية، فإذا تمت نيّة العبد تم عون الله له، ومن قصرت نيته قصر من الله العون له بقدر ذلك.

فإن استطعت أن تأتي الله يوم القيامة لا يتبعك أحد بظلم ويجيء من كان قبلك وهم غابطون لك بقلّة أتباعكَ، وأنت غير غابط لهم بكثرة أتباعهم فافعل ولا قوة إلا بالله.

فإنهم قد عاينوا وعالجوا نزع الموت الذي كانوا منه يفرون، وانشقت بطونهم التي كانوا فيها لا يشبعون، وانفقأت عيونهم التي كانت لا تنقضي لذتها، واندقت رقابهم في التراب غير موسدين بعدما تعلم من تظاهر الفرش والمرافق، فصاروا جيفاً في بطون الأرض تحت آكامها لو كانوا إلى جنب مسكين تأذى بريحهم بعد إنفاق ما لا يحصى عليهم من الطيب كان إسرافاً وبداراً عن الحق، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ما أعظم يا عمر وأفظع الذي سيق إليك من أمر هذه الأمة. وأهل العراق يكونوا من صدرك بمنزلة من لا فقر بك إليه ولا غنى بك عنه، فإنهم قد وليتهم عمالاً ظلمة قسموا المال وسفكوا الدماء. فانْهَ من تبعث من عمالك كلهم أن يعملوا بعصبية، وأن يتجبروا في عملهم، وأن يحتكروا على المسلمين بيعاً، الله الله يا عمر في ذلك فيوشك إن اجترأت على ذلك أن يؤتى بك صغيراً ذليلاً. وإن أنت أتيت ما أمرتك به وجدت راحته على ظهرك وسمعك وبصرك.

ثم إنك كتبت إليّ تسأل أن أبعث إليك بكتب عمر بن الخطاب وسيرته وقضائه بين المسلمين وأهل الذمة، وإن عمر، رحمه الله، عمل في غير زمانك، وأنا

أرجو إن عملت بمثل ما عمل به عمر أن تكون عند الله أفضل منزلةً من عمر، وقل كما قال العبد الصالح: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1].

والسلام عليكم

٩ ـ لما استخلف عمر بن عبد العزيز دخل عليه سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب، وهو مكتئب حزين، فأقبل على أحدهما فقال: عظني. فقال:

يا أمير المؤمنين إن الله لم يجعل أحداً من خلقه فوقك فلا ترضى لنفسك أن يكون أحد من خلقه أطوع له منك، واجعل الناس أصنافاً ثلاثة: الكبير بمنزلة الأب، والوسط بمنزلة الأخ، والصغير بمنزلة الولد، فبرّ أباك، وصل أخاك، واعطف على ولدك، واعلم أنك لست أول خليفة يموت.

فأقبل على الآخر، فقال: عظني. فقال:

يا أمير المؤمنين إن الدنيا عطن مهجور، وأكل منزوع، وعرض بلاء، ومستقر آفات يحيط بها الذلّ،

---

(١) سورة هود: الآية ٨٨.

ويفنيها الثكل. لكل فرحةٍ منها ترحة، ولكل سرورٍ منها غرور، وقد رغب عنها السعداء، وانتزعت من أيدي الأشقياء، فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء لما يرجو من الشفاء.

فبكى عمر، وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠ ـ كان هشام بن مصاد عند عمر بن عبد العزيز، وكانا يتحدثان، فذكر عمر شيئاً فبكى، فأتاه مولاه مزاحم فقال: إن محمد بن كعب القرظي بالباب، فقال: أدخله، فدخل وعمر يمسح عينيه من الدموع، فقال له محمد بن كعب: ما أبكاك يا أمير المؤمنين؟ فقال له هشام بن مصاد: أبكاه كذا وكذا، فقال له محمد:

يا أمير المؤمنين إنما الدنيا سوق من الأسواق، فمنها خرج الناس بما ضرّهم، ومنها خرجوا بما نفعهم، وكم من قومٍ غرّهم منها مثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبهم فخرجوا منها ملومين لم يأخذوا منها لما أحبوا من الآخرة عدة، ولا لما كرهوا جُنّة. وقَسم ما جمعوا من لم يحمدهم، وصاروا إلى من لا يعذرهم. فنحن محقوقون يا أمير المؤمنين أن ننظر إلى تلك الأعمال التي تعطبهم بها فتخلفهم فيها، وننظر إلى

الأعمال التي نتخوف عليهم منها فنكفّ عنها، فاتق الله يا أمير المؤمنين واجعل في قلبك سبيل اثنتين: انظر إلى الذي تحب أن يكون معك إذا قدمت على ربك عزّ وجل فابتغ به البدل حيث لا يؤخذ البدل، ولا تذهبن إلى سلعةٍ قد بارت على من كان قبلك ترجو أن تجوز عنك. فاتق الله يا أمير المؤمنين، وافتح الأبواب، وسهّل الحجاب، وانصر المظلوم، وردّ الظالم، ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله عزّ وجلّ: من إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له.

١١ ـ قال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم: عظني. فقال أبو حازم: اضطجع ثم اجعل الموت عن رأسك، ثم انظر ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فخذ فيه الآن. وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن.

وكتب أبو حازم لعمر بن عبد العزيز: اتق أن تلقى محمداً، عليه السلام، وأنت بتبليغ الرسالة له مصدق، وهو عليك بسوء الخلافة في أمته شهيد.

١٢ ـ قال القاسم بن مخيمرة: دخلت على عمر بن عبد العزيز، وفي صدري حديث يتلجلج فيه أريد أن أقذفه إليه، فقلت له: بلغنا أن من وجد على

الناس سلطاناً فاحتجب عن فاقتهم وحاجتهم احتجب الله عن فاقته وحاجته يوم يلقاه. فقال: ما تقول: ثم أطرق طويلاً فعرفتها فيه، وبرز للناس.

١٣ ـ دخل ابن الأهتم على عمر بن عبد العزيز، فقال: أطربك؟ قال: لا. قال: فأعظك؟ قال: نعم. قال: فافتح الباب وأدخل الناس. فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق غنياً عن طاعتهم، آمناً لمعصيتهم أن تنقصه، فالناس يومئذٍ في الحالات والمنازل مختلفون: فالعرب منهم بشرّ تلك الحال ـ أهل الوبر، والشعر، والحجر ـ لا يتلون كتاباً، ولا يصلون جماعة، ميتهم في النار، وحيّهم أعمى بشرّ حال، مع الذي لا يحصى من عيشهم المزهود فيه والمرغوب عنه، فلما أراد الله أن ينشر فيهم حكمته بعث فيهم رسولاً من أنفسهم ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[1]. فبلغ محمد رسالة ربه، ونصح لأمته، وجاهد لله حق جهاده حتى أتاه اليقين، ثم ولي أبو بكر

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

من بعده، أو من ارتد منها، وحرص قوم منهم أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة، فأبى أبو بكر أن يقبل منهم إلا ما كان رسول الله ﷺ، قابلاً لو كان حيّاً، فلم يزل يخرق أوصالهم، ويسقي الأرض من دمائهم حتى أدخلهم في الباب الذي خرجوا منه، وقررهم على الأمر الذي نفروا منه، وأوقد في الحرب شعلها، وحمل أهل الحق على رقاب أهل الباطل، ثم حضرته الوفاة، وقد أصاب من فيء المسلمين سناً لقوحاً كان يرتضخ من لبنها، وبكراً كان يروي عليه أهله الماء، وحبشيةً كانت ترضع ابناً له، فلم يزل ذلك غصةً في حلقه، وثقلاً على كاهله، حتى خرج منه إلى ولي الأمر من بعده عمر بن الخطاب، ثم ولي عمر، فحسر عن ذراعيه، وشمّر عن ساقيه، وأعدّ للأمور أقرانها فراضها، فأذلّ صعابها، وترك الأمر فيها إلى يسر، ثم حضرته الوفاة، وكان قد أصاب من فيء المسلمين شيئاً، فلم يرض في ذلك بكفالة من أحدٍ من ولده حتى باع في ذلك ربعة، وضمّ ذلك إلى بيت مال المسلمين، وأيم الله ما اجتمعنا من بعدها إلا على ظلم.

ثم أقبل على عمر بن عبد العزيز فقال:

وأنت يا عمر، بني الدنيا غذّتك بأطايبها، وألقمتك

ثديها تطلبها من مظانها، تعادي فيها وترضى لها، حتى إذا ما أفضت إليك بأركانها من غير طلبٍ منك لها رفضتها ورميت بها حيث رمى الله بها، فامض رحمك الله ولا تلتفت، فالحمد لله الذي فرج بك كربنا ونفّس بك غمّنا، فإنه لا يذلّ مع الحق حقير، ولا يكبر مع الباطل عزيز. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

وقيل: دخل عبد الله بن الأهتم على عمر بن عبد العزيز، وهو جالس على سريرٍ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم أخذ في موعظته الطويلة، فنزل عمر عن سريره حتى استوى بالأرض، وجثا على ركبتيه، وابن الأهتم يقول: وأنت يا عمر، وأنت يا عمر. وأنت يا عمر من أولاد الملوك وأبناء الدنيا ولدوا في النعيم، وغذوا بما لا يعرفون غيره، وعمر يبكي ويقول: هيه. هيه، يا ابن الأهتم هيه، فلم يزل يعظه وعمر يبكي حتى غشي عليه.

١٤ ـ قال عمر بن عبد العزيز لخالد بن صفوان: عظني وأوجز. فقال خالد: يا أمير المؤمنين إن أقواماً غرّهم ستر الله، وفتنهم حسن الثناء، فلا يغلبن جهل غيرك بل علمك بنفسك. أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين، وبثناء الناس مفتونين، وعما افترض الله علينا متخلفين، وإلى اللهو مائلين.

فبكى عمر، ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوى.

١٥ ـ دخل خالد بن صفوان على عمر بن عبد العزيز، فقال عمر: عظني يا خالد. فقال خالد: إن الله لم يرض أحداً يكون فوقك فلا ترض أن يكون أحد أولى بالشكر منك.

فبكى عمر حتى غشي عليه، ثم أفاق فقال: هيه يا خالد، لم يرض أن يكون أحد فوقي؛ فوالله لأخافنّه خوفاً، ولأحذرنّه حذراً، ولأرجونّه رجاءً، ولأحبنّه محبةً، ولأشكرنّه شكراً، ولأحمدنّه حمداً يكون ذلك كله غاية طاقتي، ولأجتهدنّ في العدل والنصفة والزهد في فاني الدنيا لزوالها والرغبة في بقاء الآخرة ودوامها حتى ألقى الله عزَّ وجلَّ، فلعلي أنجو مع الناجين، وأفوز مع الفائزين، وبكى حتى غشي عليه، فتركه خالد مغشياً عليه وانصرف.

١٦ ـ قدم زياد العبد على عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: ألا ترى ما ابتليت به من أمر أمة محمد ﷺ؟ قال: يا أمير المؤمنين، لا تعمل نفسك في الوصف واعمل نفسك في المخرج مما وقعت فيه، فلو أن كل شعرةٍ منك نطقت ما بلغت كنه ما أنت فيه. ثم

قال زياد: يا أمير المؤمنين أخبرني عن رجل له خصم ألد، ما حاله؟ قال: سيء الحال. قال: فإن كانا خصمين ألدين؟ قال: ذاك أسوأ لحاله. قال: فإن كانوا ثلاثةً؟ قال: ذاك حين لا يهنئه عيش. قال: فوالله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد إلا وهو خصم لك. قال: فبكى عمر حتى تمنيت أن لا أكون قلت له.

قال زياد: (مولى ابن عياش): لو رأيتني وقد دخلت على عمر في ليلة شاتيةٍ وبين يديه كانون، وعمر على كتابه، فجلست أصطلي، فلما فرغ من كتابه مشى إليّ حتى جلس معي على الكانون، وهو خليفة، فقال: زياد؟ قلت: نعم. قال: قصّ عليّ. قلت: ما أنا بقاصٍ. قال: فتكلم. قلت: زياد. قال: وماله؟ قلت: لا ينفعه من دخل الجنة إذا أُدخل النار، ولا يضره من دخل النار إذا أدخل الجنة. قال: صدقت والله ما ينفعك من دخل الجنة إذا دخلت النار، ولا يضرك من دخل النار إذا دخلت الجنة. قال: فلقد رأيته يبكي حتى أطفأ ذلك الجمر الذي على الكانون.

١٧ ـ كتب عمر بن عبد العزيز إلى محمد بن كعب يسأله أن يبيعه غلامه سالماً ـ وكان عابداً خيّراً ـ فقال: إني قد دبرته، قال: فأزرينه، قال: فأتاه سالم.

فقال عمر: إني قد ابتليت بما ترى، وأنا والله أتخوّف أن لا أنجو. فقال له سالم: إن كنت كما تقول فهذا نجاتك وإلا فهو الأمر الذي تخاف. فقال: يا سالم عظنا. قال: آدم ﷺ، على خطيئةٍ واحدةٍ أخرج من الجنة، وأنتم تعملون الخطايا وترجون أن تدخلوا بها الجنة؟ ثم سكت.

كان لعمر بن عبد العزيز أخ، وأخوه من الله سبحانه عبد مملوك يقال له سالم، فلما استخلف دعاه ذات يوم، فأتاه، فقال له: يا سالم إني أخاف أن لا أنجو. قال: إن كنت تخاف فنعما، لكني أخاف عليك أن لا تخاف. قال سالم: إن الله جعل لعبد داراً فأذنب فيها ذنباً واحداً فأخرجه من تلك الدار، فنحن أصحاب ذنوبٍ كثيرةٍ نريد أن نسكن تلك الدار.

١٨ ـ قال عمر بن عبد العزيز: إن أول من أيقظني لهذا الشأن مزاحم. حبست رجلاً فجاوزت في حبسه القدر الذي يجب عليه، فكلمني في إطلاقه، فقلت: ما أنا بمخرجه حتى أبلغ في الحيطة عليه بما هو أكثر مما مرّ عليه، فقال مزاحم: يا عمر بن عبد العزيز إني أحذرك ليلة تمخض بالقيامة في صبيحتها تقوم الساعة، يا عمر، ولقد كدت أنسى اسمك مما أسمع: قال الأمير. قال الأمير.

فوالله ما هو إلا أن قال ذلك فكأنما كشف عن وجهي غطاء، فذكّروا أنفسكم، رحمكم الله، فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

١٩ ـ سمع عمر بن عبد العزيز برجلٍ من بقايا المسلمين فرّ بدينه، فسكن الشام، فكتب إليه يشكو إليه ما ابتلي به من أمر هذه الأمة، وقلّة الأعوان على الحق، ويطلب المعاونة والمؤازرة على الحق، فكتب إليه: وصل إليَّ كتابك يا أمير المؤمنين، وفهمت ما ذكرت، واعلم أنك إنما أصبحت في خلق بال ورسم دارس، خاف العالم فلم ينطق، وجهل الجاهل فلم يسأل، وطلبت مني المعاونة والمؤازرة فيما أنعم الله عليَّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين. فلما قرأ عمر الكتاب قال: نظر المسلم لنفسه إذ لم ينظر عمر لنفسه وأساء إلى نفسه.

٢٠ ـ أتى رجل من أذربيجان إلى عمر بن عبد العزيز فقام بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين، اذكر بمقامي هذا مقاماً لا تشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقةٍ من العمل، ولا براءةٍ من الذنب. فبكى عمر بكاءً شديداً، ثم قال: ويحك أردد عليّ كلامك هذا، فجعل يردده عليه، وعمر يبكي وينتحب، ثم قال: ما حاجتك؟ قال: إن عامل أذربيجان

عدا عليّ فأخذ مني اثني عشر ألف درهم فجعلها في بيت المال. فقال عمر: اكتبوا له الساعة إلى عاملها حتى يردّ عليه.

٢١ ـ قال سابق البربري لعمر بن عبد العزيز، رحمة الله عليه.

بسم الذي أنزلت من عنده السور
والحمد لله. أما بعد يا عمر
إن كنت تعلم ما تأتي وما تذر
فكن على حذرٍ قد ينفع الحذر
واصبر على القدر المجلوب وارض به
وإن أتاك بما لا تشتهي القدر
فما صفا لامرىءٍ عيش يسرّ به
إلا سيتبع يوماً صفوه كدر
واستخبر الناس عما أنت جاهله
إذا عميت فقد يجلو العمى الخبر
قد يرعوي المرء يوماً بعد هفوته
وتحكم الجاهل الأيام والغير
إن التقى خير زادٍ أنت حامله
والبر أفضل شيءٍ ناله بشر

من يطلب الجور لا يظفر بحاجته

وطالب الحق قد يُهدى له الظفر

وفي الهدى عبر تشفي القلوب بها

كالغيث ينضر عن وسميه الشجر

وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها

ولا البصير كأعمى ماله بصر

والرشد نافلة تهدى لصاحبها

والغيّ يكره عند الورد والصدر

قد يوبق المرء أمر أو يحقره

والشيء يا نفس ينمي وهو يحتقر

لا يشبع النفس شيء حين تحرزه

ولا يزال لها في غيره وطر

ولا تزال وإن كانت لها سعة

لها إلى الشيء لم تظفر به نظر

وكل شيء له حال تغيّره

كما تغيّر لون اللمة الغير

والذكر فيه حياة للقلوب كما

يحيي البلاد إذا ما ماتت المطر

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه

كما يُجلي سواد الظلمة القمر

لا ينفع الذكر قلباً قاسياً أبداً
وهل يلين لقول الواعظ الحجر
والموت جسر لمن يمشي على قدم
إلى الأمور التي تخشى وتنتظر
فهم يمرّون أفواجاً وتجمعهم
دار إليها يصير البدو والحضر
من كان في معقل للحرز أسلمه
أو كان في خمر لم ينجه الخمر
حتى متى أنا في الدنيا أخو كلفٍ
في الخدّ مني إلى لذّاتها صعر
ولا أرى أثراً للذكر في جسدي
والماء في الحجر القاسي له أثر
لو كان يسهر عيني ذكر آخرتي
كما يُؤرّقني للعاجل السهر
إذن لداويت قلباً قد أضرّ به
طول السقام ووهن العظم ينجبر
ما يلبث الشيء أن يبلى إذا اختلفت
يوماً على نقضه الروحات والبكر
والمرء يصعد ريعان الشباب به
وكل مصعدةٍ يوماً ستنحدر

وكلّ بيتٍ خراب بعد جدّته

ومن وراء الشباب الموت والكبر

بينا يرى الغصن لدناً في أرومته

ريّان أضحى حطاماً جوفه نخر

كم من جميع أشتّ الدهر شملهم

وكل شملٍ جميع سوف ينتثر

وربّ أصيد سامي الطرف معتصب

بالتاج نيرانه للحرب تستعر

يظلُّ مفترش الديباج محتجباً

عليه تبنى قباب الملك والحجر

قد غادرته المنايا وهو مستلب

مجدل ترب الخدين منعفر

أبعد آدم ترجون البقاء وهل

تبقى فروع الأصل حين ينعقر

لهم بيوت بمستن السيول وهل

يبقى على الماء بيت أسّه مدر

إلى الفناء وإن طالت سلامتهم

مصير كل بني أنثى وإن كثروا

إن الأمور إذا استقبلتها اشتبهت

وفي تدبّرها التبيان والعبر

والمرء ما عاش في الدنيا له أمل
إذا انقضى سفر منها أتى سفر
لها حلاوة عيش غير دائمةٍ
وفي العواقب منها المرّ والصبر
إذا انقضت زمر آجالها نزلت
على منازلها من بعدها زمر
وليس يزجركم ما توعظون به
والبهم يزجرها الراعي فتنزجر
أصبحتم جزراً للموت يقضَكم
كما البهائم في الدنيا لها جزر
لا تبطروا واهجروا الدنيا فإن لها
غباً وخيماً وكفر النعمة البطر
ثم اقتدوا بالأُلى كانوا لكم غرراً
وليس من أُمَةٍ إلا لها غرر
حتى تكونوا على منهاج أولكم
وتصبروا على هوى الدنيا كما صبروا
مالي أرى الناس والدنيا مولية
وكلّ حبلٍ لها سوف ينبتر
لا يشعرون بما في دينهم نقصوا
جهلاً وإن نقصت دنياهم شعروا

٢٢ ـ قال ميمون بن مهران: دخلت على عمر بن عبد العزيز يوماً وعنده سابق البربري. وهو ينشده شعراً فانتهى في شعره إلى هذه الأبيات.

فكم من صحيح بات للموت آمناً
أتته المنايا بغتة بعدما هجع
فلم يستطع إذ جاء الموت آمناً
فراراً ولا منه بقوته امتنع
فأصبح تبكيه النساء مقنعاً
ولا يسمع الداعي وإن صوته رفع
وقُرّب من لحدٍ فصار مقيله
وفارق ما قد كان في أمسه جمع
فلا يترك الموت الغني لما له
ولا معدماً في المال ذا حاجةٍ يدع

فلم يزل عمر يبكي ويضطرب حتى غشي عليه.

٢٣ ـ دخل سابق البربري على عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: عظني يا سابق وأوجز. قال: يا أمير المؤمنين وأُبلغ إن شاء الله تعالى. قال: هات. فأنشده هذه الأبيات:

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التقى
وافيت بعد الموت من قد تزوّدا
ندمت على أن لا تكون شريكه
وأرصدت قبل الموت ما كان أرصدا

فبكى عمر حتى سقط مغشياً عليه.

الفصل السابع

مِن خُطَبِ وكتُبِ عُمر بن عبد العَزيز

كانت خطب عمر بن عبد العزيز وكتبه إلى عماله تدور كلها حول الحث على تقوى الله، والتذكير بيوم الحساب، يوم لا ينفع مال ولا بنون، وتدعو إلى إقامة العدل، وردّ المظالم، والطاعة بطاعة الله، وذكر الموت الذي لا فرار منه. وتمتاز بالقصر والإيجاز، وسهولة التعبير.

١ ـ خطب عمر بن عبد العزيز يوم بويع، فقال على المنبر:

أيها الناس: إني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأيٍ كان مني فيه، ولا طلبة له، ولا مشورةٍ من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم. فصاح الناس صيحةً واحدةً: قد اخترناك يا

أمير المؤمنين ورضينا بك، قل أمرنا باليمن والبركة. فلما رأى الأصوات قد هدأت، ورضي به الناس جميعاً، حمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، وقال:

أوصيكم بتقوى الله فإن تقوى الله خلف من كل شيءٍ، وليس من تقوى الله عزّ وجلّ خلف، واعملوا لآخرتكم فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه. وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم. وأكثروا من ذكر الموت، وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم فإنه هادم اللذات. وإن من لا يذكر من آبائه ـ فيما بينه وبين آدم عليه السلام ـ أبا حيّاً لمعرق له في الموت. وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عزّ وجلّ، ولا في نبيّها ﷺ، ولا في كتابها، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم. وإني والله لا أعطي أحداً باطلاً ولا أمنع أحداً حقاً.

ثم رفع صوته حتى أسمع الناس، فقال: أيها الناس. من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له. أطيعوني ما أطعت الله فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم.

٢ ـ وخطب عمر بعد أن استخلف فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أما بعد فإنه ليس بعد نبيكم ﷺ

نبي، ولا بعد الكتاب الذي أنزل عليه كتاب. ألا ما أحل الله عزّ وجلّ حلال إلى يوم القيامة، وما حرم الله حرام إلى يوم القيامة. ألا لست بقاضٍ ولكني منفذ. ألا وإني لست بمبتدع ولكني متبع، ألا أنه ليس لأحدٍ أن يطاع في معصية الله عزّ وجلّ. ألا إني لست بخيركم، لكني رجل منكم غير أن الله جعلني أثقلكم حملاً.

٣ ـ وخطب عمر يوم ردّ المظالم فقال: أما بعد فإن هؤلاء أعطونا عطايا ما كان ينبغي لنا أن نأخذها، وما كان ينبغي لهم أن يعطوناها، وإني قد رأيت ذلك ليس عليّ فيه دون الله محاسب، وإني قد بدأت بنفسي وأهل بيتي. اقرأ يا مزاحم. فجعل مزاحم يقرأ كتاباً كتاباً ثم يأخذه عمر فيقطّعه.

٤ ـ خطب عمر بن عبد العزيز بعد أن استخلف فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس وإلا فلا يقربنا: يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها، ويعيننا على الخير بجهده، ويدلنا على الخير على مالا نهتدي إليه، ولا يغتابن عندنا الرعية، ولا يعترض فيما لا يعنيه.

٥ ـ وقال في بعض خطبه: إن لكل سفرٍ زاداً لا

محالة، فتزوّدوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة، وكونوا كمن عاين ما أعد الله تعالى من ثوابه وعقابه، ترغبون وترهبون، ولا يطولن عليكم الأمر فتقسو قلوبكم وتنقاد لعدوكم، فإنه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا، فكم رأينا ورأيتم من كان بالدنيا مغتراً، وإنما تقرّ عين من وثق بالنجاة من عذاب الله، وإنما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة، فأما من لا يبرأ من كلم إلا أصابه جرح من ناحية أخرى، أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى نفسي عنه، فتخسر صفقتي، وتظهر عيلتي، وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغنى والفقر، والموازين منصوبة، لقد عنيتم بأمرٍ لو عنيت به النجوم لانكدرت، ولو عنيت به الجبال لذابت، ولو عنيت به الأرض لتشققت، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة، وأنكم صائرون إلى إحداهما.

٦ ـ وخطب عمر بن عبد العزيز فقال بعد أن حمد الله، وأثنى عليه، ثم تلا آيات من كتاب الله: يا أيها الناس إني وجدت هذا القلب لا يعبر عنه إلا اللسان ـ وإن لعمري مني لحقاً ـ لوددت أنه ليس من الناس عبد ابتلي بسعة إلا نظر قطيعاً من ماله يجعله في الفقراء

والمساكين واليتامى والأرامل، بدأت أنا بنفسي وأهل بيتي، ثم كان الناس بعد... لولا سنة أحييتها أو بدعة أمتها لم أبال أن لا أبقى في الدنيا إلا فواقاً.

٧ ـ وخطب عمر فقال: إن الدنيا ليست بدار قراركم. دار كتب الله عليها الفناء، وكتب على أهلها منها الظعن فكم عامر موثق عما قليل يخرب، وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن. فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يحضركم من النقلة، وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى. إنما ابن آدم كفيء ظلال قلص فذهب، بينا ابن آدم ينافس فيها قرير عين إذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودياره ودنياه، وصيّر لقوم آخرين مصانعه ومغناه. إن الدنيا لا تسرّ بقدر ما تضرّ. إنها تسر قليلاً، وتحزن حزناً طويلاً.

٨ ـ وكان من أواخر ما خطب، قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: إنكم لم تخلقوا عبثاً، ولم تتركوا سدى، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه ليحكم بين الناس ويفصل بينهم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله، وحُرم جنةً عرضها السموات والأرض، ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذر الله وخافه، وباع نافذاً بباقٍ، وقليلاً بكثير، وخوفاً بأمانٍ، ألا ترون أنكم من أسلاب

الهالكين وستصير بعدكم للباقين، وكذلك حتى ترد لخير الوارثين. ثم إنكم تشيّعون كل يومٍ غادياً ورائحاً إلى الله قد تقضى نحبه وانقضى أجله حتى تغيّبوه في صدعٍ من الأرض في شق صدع، ثم تتركوه غير ممهدٍ ولا موسدٍ قد فارق الدنيا والأحباب، وباشر التراب، موجهاً للحساب، مرتهناً بعد عمل، غنياً عما ترك، فقيراً إلى ما قدم. فاتقوا الله قبل موافاته وحلول الموت بكم، ووالله إني لأقول هذا وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي. فأستغفر الله. وما منكم من أحد تبلغنا حاجته يتسع له ما عندنا إلا حرصنا أن نسدّ من حاجته ما استطعنا، وما منكم من أحد تبلغنا حاجته لا يتسع له ما عندنا إلا تمنيت أن يبدأ بي وبخاصتي حتى يكون عيشنا وعيشه سواء. أما والله لو أردت غير هذا من غضارة العيش لكان اللسان به ذلولاً وكنت بأسبابه عالماً، ولكن سبق من الله كتاب ناطق وسنة عادلة دلّ فيهما على طاعته، ونهى فيهما عن معصيته، ثم رفع طرف ردائه فبكى، وأبكى من حوله.

٩ ـ وقال في خطبةٍ له: أيها الناس من أحسن منكم فليحمد الله، ومن أساء فليستغفر الله فإنه لا بد لأقوام أن يعملوا أعمالاً وضعها الله في رقابهم وكتبها عليهم.

١٠ ـ وقال في خطبة: أيها الناس من ألمّ بذنب فليستغفر الله عزّ وجلّ وليتب، فإن عاد فليستغفر وليتب، فإن عاد فليستغفر وليتب، فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال، وإن الهلاك كل الهلاك الإصرار عليها.

١١ ـ وقال في خطبة: أيها الناس اتقوا وأجملوا في الطلب، فإنه إن كان لأحدكم رزق في رأس جبلٍ أو حضيض أرضٍ يأتيه.

وقال: ألا إن أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم.

الكتب:

١ ـ كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الموسم: أما بعد، فإني أشهد الله وأبرأ إليه في الشهر الحرام، والبلد الحرام، ويوم الحج الأكبر أني بريء من ظلم من ظلمكم، وعدوان من اعتدى عليكم أن أكون أمرت بذلك أو رضيت أو تعمدت إلا أن يكون وهماً مني أو أمراً خفي عليّ لم أتعمده، وأرجو أن يكون ذلك موضوعاً عني مغفوراً لي إذا علم مني الحرص والاجتهاد. ألا وإنه لا إذن لمظلوم دوني، وأنا معول كل مظلوم. ألا وأي عاملٍ من عمالي رغب عن الحق، ولم

يعمل بالكتاب والسنة فلا طاعة له عليكم، وقد صيرت أمره إليكم حتى يراجع الحق وهو ذميم. ألا وإنه لا دولة ببر أغنيائكم ولا أثرة على فقرائكم في شيءٍ من فيئكم، ألا وأيما وارد ورد في أمر يصلح الله به خاصةً أو عامةً فله ما بين مائة دينار إلى ثلاثمائة دينار على قدر ما نوى من الحسبة، وتجشّم من المشقة، فرحم الله أمرأ لم يتعاظمه سفر يحيي الله به حقاً لمن وراءه، ولولا أن أشغلكم عن مناسككم لرسمت لكم أموراً من الحق أحياها الله لكم، وأموراً من الباطل أماتها الله عنكم فلا تحمدوا غيره، ولو وكلني إلى نفسي كنت كغيري والسلام عليكم.

٢ ـ وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض الأجناد: أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله، ولزوم طاعته والتمسّك بأمره، والمعاهدة على ما حملك الله عزّ وجلّ من دينه واستحفظك من كتابه، فإن بتقوى الله عزّ وجل نجا أولياء الله عزّ وجل من سخطه، وبها تحقق لهم ولايته، وبها رافقوا أنبياءه، وبها نضرت وجوههم ونظروا إلى خالقهم، وهي عصمة في الدنيا من الفتن، والمخرج من كرب يوم القيامة، ولن يقبل ممن بقي إلا مثل ما رضي به عن من مضى، ولمن بقي عبرة فيمن مضى، وسنة الله

عز وجل فيهم واحدة، بادر بنفسك قبل أن يؤخذ بكظمك، ويخلص إليك كما خلص إلى من كان قبلك، فقد رأيت الناس كيف يموتون، وكيف يتفرقون، ورأيت الموت كيف يعجل لتائب توبته وذا الأهل أهله وذا السلطان سلطانه، وكفى بالموت موعظة بالغة، وشاغلاً عن الدنيا، ومرغباً في الآخرة، فتعوذ بالله من شر الموت وما بعده، ونسأل الله خيره. لا تطلبن شيئاً من عرض الدنيا بقولٍ ولا فعلٍ تخاف أن يضرّ بآخرتك، ويزري بدينك، ويمقتك عليه ربك. واعلم أنه القدر سيجري إليك برزقك ويوافيك أكلك في دنياك غير مزيدٍ فيه بحولٍ منك ولا قوة ولا منقوص منه بضعفٍ. إن ابتلاك الله بفقر فتعفف في فقرك، واعتبر بما قسم الله عزّ وجلّ من الإسلام وما زوى عنك من نعمة دنياك، فإن في الإسلام خلفاً من الذهب والفضة والدنيا الفانية.
واعلم أنه لن يضرّ عبداً صار إلى رضوان الله عزّ وجلّ وإلى الجنة ما أصابه في الدنيا من فقر وبلاءٍ، وأنه لن ينفع عبداً صار إلى سخط الله عزّ وجلّ وإلى النار ما أصاب في الدنيا من نعمةٍ ورخاء، ما يجد أهل الجنة مسّ مكروه أصابهم في الدنيا، وما يجد أهل النار طعم لذةٍ نعموا بها في دنياهم كأن سائر ذلك لم يكن، فمن كان راغباً في الجنة أو هارباً من النار، فالآن في هذه

الأيام الخالية والتوبة مقبولة والذنب مغفور قبل نفاذ الأجل وانقضاء المدة وفراغ الله عزّ وجلّ للثقلين ليدينهم بأعمالهم في موطنٍ لا تقبل فيه الفدية ولا تنفع فيه الحيلة، تبرز فيه الخلفيات، وتبطل فيه الشفاعات، يرده الناس جميعاً بأعمالهم، وينصرفون منه أشتاتاً إلى منازلهم، فطوبى يومئذٍ لمن أطاع الله عزّ وجل، وويل يومئذٍ لمن عصى الله عزّ وجلّ. فإن ابتلاك الله بالغنى فاقتصد في غناك، وضع لله نفسك، وأدّ لله عزّ وجلّ فرائض حقه من مالك، وقل عند ذلك ما قال العبد الصالح: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[١]. وإياك أن تفخر بطَولك، وأن تعجب بنفسك أو يخيل إليك أن ما رُزقته لكرامتك على ربك عزّ وجلّ وتفضيله إياك على غيرك ممن لم يُرزق مثل غناك، فإذن أنت أخطأت باب الشكر ونزلت منازل أهل الفقر، وكنت ممن أطغاه الغنى، وتعجّل طيباته في الدنيا فإني أعظك بهذا وإني لكثير الإسراف على نفسي، غير محكم لكثير من أمري، ولو أن المرء لا يعظ أخاه حتى يحكم نفسه ويعمل في الذي خلق له من عبادة ربه عزّ وجل إذن

(١) سورة النمل: الآية ٤٠.

لتواكل الناس الخير، وإذن لرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذن لاستحلت المحارم، وقلّ الواعظون والساعون لله عزّ وجلّ بالنصيحة في الأرض.

٣ ـ لما ولي عمر بن عبد العزيز جعل لا يدع شيئاً مما كان في يده وأهل بيته من المظالم إلا ردّها مظلمةً مظلمةً فبلغ ذلك عمر بن الوليد بن عبد الملك فكتب إليه: إنك أزريت على من كان قبلك من الخلفاء، وعبت عليهم، وسيرت بغير سيرتهم بغضاً لهم وشنآناً لمن بعدهم من أولادهم. قطعت ما أمر الله به أن يوصل إذ عمدت إلى أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها بيت المال جوراً وعدواناً. يا ابن عبد العزيز اتق الله وراقبه إن شططت، لم تطمئن على منبرك حتى خصصت أول قرابتك بالظلم والجور. فوالّذي خصّ محمداً ﷺ، بما خصّه به، لقد ازددت من الله بعداً في ولايتك هذه إذ زعمت أنها عليك بلاء فاقصر بعض ميلك، واعلم بأنك بعين جبارٍ، ولن تترك على هذا.

فلما قرأ عمر بن عبد العزيز كتابه، كتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن الوليد، السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، أما بعد فإنه بلغني كتابك، وسأجيبك بنحوٍ منه، أما أول شأنك يا ابن الوليد ـ كما زعم ـ فأمك بنانة أم السكون، كانت تطوف بسوق حمص، وتدخل في حوانيتها، ثم الله أعلم بها، اشتراها ذبيان بن ذبيان من فيء المسلمين، فأهداها لأبيك فحملت بك، فبئس المحمول وبئس المولود. ثم نشأت فكنت جباراً عنيداً. تزعم أني من الظالمين لما حرمتك وأهل بيتك فيء الله عز وجل الذي فيه حق القرابة والمساكين والأرامل، وإن أظلم مني لعهد الله من استعملك صبياً سفيهاً على جند المسلمين تحكم بينهم برأيك ولم تكن له في ذلك نية إلا حبّ الوالد لولده، فويل لك وويل لأبيك ما أكثر خصماءكما يوم القيامة، وكيف ينجو أبوك من خصمائه؟ وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف على خمس العرب يسفك الدم الحرام، ويأخذ المال الحرام، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل قرة بن شريك أعرابياً جافياً على مصر، أذن له في المعازف واللهو والشرب. وإن أظلم مني وأترك

لعهد الله من جعل لعالية البربرية سهماً في خمس العرب. فرويداً يا ابن بنانة فلو التقت حلقتا البطان وردّ الفيء إلى أهله لتفرغت لك ولأهل بيتك فوضعتهم على المحجة البيضاء، فطالما تركتم الحق وأخذتم في بنيات الطريق، وما وراء هذا الفضل ما أرجو أن أكون رأيته بيع رقبتك وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل، فإن لكل فيك حقاً، والسلام علينا، لا ينال سلام الله الظالمين.

٤ ـ وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: أما بعد، فكأن العباد قد عادوا إلى الله، ثم ينبئهم عما عملوا ليجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، فإنه لا معقب لحكمه، ولا منازع لأمره. وإني أوصيك بتقوى، وأحثك على الشكر فيما اصطنع عندك من نعمة وآتاك من كرامته، فإن نعمه يمدها شكره، ويقطعها كفره، وأكثر من ذكر الموت الذي لا تدري متى يغشاك فلا مناص ولا فوت، وأكثر من ذكر يوم القيامة وشدته فإن ذلك يدعوك إلى الزهادة فيما رغبت فيه والرغبة فيما زهدت فيه، ثم كن مما أوتيت من الدنيا على وجل، فإن من لا يحذر ذلك ولا يتخوفه توشك الصرعة أن تدركه في الغفلة، وأكثر النظر في عملك في دنياك بالذي أمرت به ثم اقتصر عليه، فإن فيه

لعمري شغلاً عن دنياك، ولن تدرك العلم حتى تؤثره على الجهل، ولا الحق حتى تذر الباطل. نسأل الله لنا ولك حسن معونته وأن يدفع عنا وعنك بأحسن دفاعه برحمته.

٥ ـ وعهد إلى بعض عماله: عليك بتقوى الله في كل حالٍ تنزل بك، فإن تقوى الله أفضل العدة، وأبلغ المكيدة، وأقوى القوة، ولا تكن من شيء من عداوة عدوك أشد احتراساً لنفسك ومن معك من معاصي الله، فإن الذنوب أخوف عندي على الناس من مكيدة عدوهم، وإنما نعادي عدونا وننتصر عليهم بمعصيتهم، ولولا ذلك لم تكن لنا قوة بهم، لأن عددنا ليس كعددهم، وقوتنا ليست كقوتهم، وإلا ننصر عليهم بحقنا، ولا نغلبهم بقوتنا. ولا تكونن لعداوة أحدٍ من الناس أحذر منكم لذنوبكم، ولا أشد تعاهداً منكم لذنوبكم، واعلموا أن عليكم ملائكة لله حفظة عليكم يعلمون ما تفعلون في مسيركم ومنازلكم، فاستحيوا منهم وأحسنوا صحبتهم، ولا تؤذوهم بمعاصي الله. وسلوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه العون على عدوكم. فنسأل الله ذلك لنا ولكم. وارفق بمن معك في مسيرهم ولا تجشمهم سيراً تتعبهم، ولا تقصر بهم عن منزل

يرفق بهم، فإنكم تسيرون إلى عدو جام الأنفس والكراع، فإلا ترفقوا بأنفسكم وكراعكم في مسيركم يكن لعدوكم فضل عليكم في القوة. أقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة ليكون لهم راحة يجمون بها أنفسهم وكراعهم، ولتكن عيونك من العرب، وممن تطمئن إلى نصحه من الأرض، فإن الكذوب لا ينفعك خبره، وإن صدق في بعضه، وإن الغاش عين عليك وليس بعين لك.

الفصل الثامن

ولاية العهد ووفاة عمر

كان عمر ـ رحمه الله ـ حريصاً على الشورى، فلم يفكر بأحدٍ من أولاده ليستخلفه بعده ولو لم يكن عهد سلفه سليمان بالعهد ليزيد بن عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز لما استخلف، غير أنه نفّذ عهداً قيّده بمن بعده.

قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أفلح بن حميد، قال: سمعت القاسم بن محمد يقول: اليوم ينطق كل من كان لا ينطق، وإنا لنرجو لسليمان بتوليته لعمر بن عبد العزيز. وقال عمر بن عبد العزيز عند الموت: لو كان لي من الأمر شيء ما عدوت بها القاسم بن محمد[1]. قال: فبلغَتْ القاسم بن محمد

---

(١) القاسم بن محمد بن خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة، الإمام القدوة، الحافظ الحجة، عالم=

فرحّم عليه وقال: إن القاسم ليضعف عن أهيله فكيف يقوم بأمر أمة محمد!!

= وقته بالمدينة مع سالم وعكرمة، أبو محمد وأبو عبد الرحمٰن القرشي التيمي البكري المدني: وأمه أم ولد (سودة) قيل: بنت يزدجرد ملك فارس. ولد في خلافة علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وقتل أبوه في مصر، والقاسم صغير فنشأ في حجر عمته أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، وتفقه منها، وأكثر عنها، ورروايته عن أبيه عن جده انقطاع على انقطاع فكل منهما لم يلحق أباه.

روى عن جدته أسماء بنت عميس، وعن عمته عائشة، وعن فاطمة بنت قيس، وابن عباس، وابن عمر، وأبي هريرة، ورافع بن خديج، وعبد الله بن خباب، وعبد الله بن عمرو، ومعاوية، وعن ابن مسعود مرسلاً، وعن زينب بنت جحش مرسلاً. وروى عنه الكثير.

كان ثقةً، عالماً، رفيعاً، فقيهاً، إماماً، ورعاً، كثير الحديث.

موسى بن عقبة، عن محمد بن خالد بن الزبير قال: كنت عند عبد الله بن الزبير، فاستأذن القاسم بن محمد، فقال ابن الزبير: ائذن له، فلما دخل عليه قال له: مهيم؟ (ما حالك وما شأنك)، قال: مات فلان، فذكر قصته، قال: فولّى، فنظر إليه ابن الزبير وقال: ما رأيت أبا بكر ولد ولداً أشبه من هذا الفتى.

ابن شوذب، عن يحيى بن سعيد قال: ما أدركنا بالمدينة أحداً نُفَضِّلُهُ على القاسم.

وهيب عن أيوب وذكر القاسم فقال: ما رأيت رجلاً أفضل منه، ولقد ترك مائة ألفٍ، وهي له حلال. =

روى محمد بن الضحاك الحِزامي، عن أبيه قال: قال عمر بن عبد العزيز: لو كان إليّ أن أعهد ما عدوت صاحب الأعوص يعني إسماعيل بن أمية، أو أُعَيْمِش بني تيم، يعني القاسم، فروى الواقدي عن أفلح بن حميد أنها بلغت القاسم، فقال: إني لأضعف عن أهلي فكيف بأمر الأمة.

ابن وهب، عن مالك أن عمر بن عبد العزيز قال: لو كان إليّ من هذا الأمر شيء ما عَصَّبْتُهُ إلا بالقاسم بن محمد.

= البخاري: حدثنا عليّ، حدثنا سفيان، حدثنا عبد الرحمٰن بن القاسم، وكان أفضل أهل زمانه، أنه سمع أباه، وكان أفضل أهل زمانه يقول: سمعت عائشة تقول: (طيّبت رسول الله ﷺ بيدي هاتين حين أحرم، ولحله حين أحلّ قبل أن يطوف وبسطت يديها).
وروى عبد الرحمٰن بن أبي الزناد، عن أبيه قال: ما رأيت أحداً أعلم بالسنة من القاسم بن محمد، وما كان الرجل يعدّ رجلاً حتى يعرف السنة، وما رأيت أحدّ ذهناً من القاسم، إن كان ليضحك من أصحاب الشُّبه كما يضحك الفتى وروى خالد بن نزار، عن ابن عيينة قال: أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة: القاسم، وعروة، وعمرة. مات بـ(قديد) سنة ستٍ ومائة، وقال قبل موته: كفّنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها، قميصي وردائي.
هكذا كُفّن أبو بكر. وأوصى أن لا يُبنى على قبره.

أخبرنا علي بن محمد عن أبي عمرو الباهلي قال: جاء بنو مروان إلى عمر فقالوا: إنك قصرت بنا عما كان يصنعه بنا من قبلك، وعاتبوه فقال: لئن عدتم لمثل هذا المجلس لأشدّن ركابي ثم لأقدمنّ المدينة ولأجعلنّها أو أصيّرها شورى، أما إني أعرف صاحبها الأُعَيْمِش، يعني القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق.

وقال عمر بن عبد العزيز: لو كان إليّ من الأمر شيء ما عدوت به القاسم بن محمد وصاحب الأعوص[1] إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص. قال محمد بن عمر: كان إسماعيل بن عمرو عابداً منقطعاً قد اعتزل فنزل الأعوص.

وكان الأمر قد قضي أن الخليفة من بعده يزيد بن عبد الملك بن مروان بناء على عهد سليمان بن عبد الملك.

المرض:

كان الخوف أول مرضه، وقد سأل محمد بن عبد الملك بن مروان أخته فاطمة بنت عبد الملك زوج

(١) الأعوص: موضع قرب المدينة، وعلى أميالٍ يسيرةٍ منها.

عمر بن عبد العزيز، فقال: ما ترين بدء مرض عمر الذي مات فيه، فقالت: أرى جل ذلك أو بدأه الخوف.

قال عبد الحميد بن سهيل: رأيت الطبيب خرج من عند عمر بن عبد العزيز فقلت: رأيت بوله اليوم؟ فقال: ما ببوله بأس إلا الهمّ بأمر الناس.

قال محمد بن قيس: أول مرضه اشتكى لهلال رجب سنة إحدى ومائة، وكان شكواه عشرين يوماً.

مع ولي عهده:

كتب عمر بن عبد العزيز حين مرض إلى ولي العهد من بعده يزيد بن عبد الملك: بسم الله الرحمٰن الرحيم. من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى يزيد بن عبد الملك: السلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إلٰه إلا هو. أما بعد، فإني كتبت إليك وأنا دنف من وجعي، وقد علمت أني مسؤول عما وليت يحاسبني الله عليه مليك الدنيا والآخرة، ولست أستطيع أن أخفي عليه من عملي شيئاً، يقول تعالى فيما يقول:
﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾[1]. فإن

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٧.

يرضى عني الرحيم فقد أفلحت ونجوت من الهوان الطويل، وإن سخط عليّ فيا ويح نفسي إلى ما أصير، أسأل الله الذي لا إلٰه إلا هو أن يجيرني من النار برحمته، وأن يمنّ عليّ برضوانه والجنة. وعليك بتقوى الله. والرعية الرعية فإنك لن تبقى بعدي إلا قليلاً حتى تلحق باللطيف الخبير، والسلام.

وعن عبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى يزيد بن عبد الملك: إياك أن تدركك الصرعة عند الغرّة فلا تقال العثرة، ولا تمكن من الرجعة يحمدك من خلفت بما تركت، ولا يعذرك من تقدم عليه بما اشتغلت به والسلام.

وعن محمد بن أبي عيينة المهلبي قال: قرأت رسالة عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك: سلام الله وبركاته عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلٰه إلا هو، أما بعد، فإن سليمان بن عبد الملك كان عبداً من عباد الله قبضه الله واستخلفني وبايع لي من قبله وليزيد بن عبد الملك إن كان من بعدي، ولو كان الذي أنا فيه لاتخاذ أزواج أو اعتقاد أموال كان الله قد بلغ بي أحسن ما بلغ بأحدٍ من خلقه، ولكني أخاف حساباً شديداً، ومسألة لطيفة إلا ما أعان الله عليه، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

مع أولاده:

قال سفيان: سألت عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ما آخر ما تكلم به أبوك عند موته؟ قال: كان له من الولد عبد العزيز، وعاصم، وإبراهيم. قال عبد العزيز: وكنا أغيلمة فجئنا إليه كالمسلّمين عليه والمودّعين له، وكان الذي ولي ذلك منه مولًى له، فقيل: هل تركت أولادك هؤلاء وليس لهم مال ولم تولهم إلى أحد، قال: ما كنت لأعطيهم شيئاً ليس لهم، وما كنت لآخذ منهم حقاً لهم، أُوَلّي فيهم الذي يتولّى الصالحين، إنما هؤلاء أحد رجلين، رجل أطاع الله، ورجل ترك أمر الله وضيّعه.

دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه، فقال: من توصي بأهلك؟ ـ وهو يرى أن يستوصيه ـ فقال: إذا نسيت الله فذكّرني، قال، فعاد فقال: من توصي بأهلك؟ فقال: إن وليي فيهم الله الذي نزّل الكتاب، وهو يتولّى الصالحين.

عن مسلمة بن محارب قال: دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في مرضه فقال: يا أمير المؤمنين ألا توصي؟ قال: وهل من مال أوصي فيه؟ فقال مسلمة: مائة ألف أبعث بها إليك فهي لك فأوص

فيها، قال: فهلا غير ذلك يا مسلمة؟ قال: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: تردّها من حيث أخذتها! قال: فبكى مسلمة وقال: رحمك الله، لقد ليّنت منا قلوباً كانت قاسيةً، وزرعت في قلوب الناس لنا مودة، وأبقيت لنا في الصالحين ذكراً. قال مسلمة: يا أمير المؤمنين أوص ببنيك، فقال عمر: أوصي بهم الذي نزل الكتاب، وهو يتولّى الصالحين، ثم نظر إلى ولده فقال: بنفسي فتية أقفرت أفواههم من هذا المال، فسمعوا قائلاً من ناحية البيت يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1].

وقيل: لما كانت الصرعة التي هلك فيها عمر دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين إنك أقفرت أفواه ولدك من هذا المال فتركتهم عيلةً لا شيء لهم، فلو أوصيت بهم إليّ وإلى نظرائي من أهل بيتك. فقال: أسندوني، ثم قال: أما قولك أني أقفرت أفواه ولدي من هذا المال، فوالله إني ما منعتهم حقاً هو لهم، ولم أعطهم ما ليس لهم، وأما قولك لو أوصيت بهم إليّ وإلى نظرائي من أهل بيتك، فإن وصيي ووليي فيهم الله

(١) سورة القصص: الآية ٨٣.

الذي نزَّل الكتاب، وهو يتولّى الصالحين، بنيّ أحد رجلين: إما رجل يتقي الله فسيجعل الله له مخرجاً، وإما رجل مكبّ على المعاصي فإني لم أكن أقويه على معصية الله، ثم بعث إليهم ـ وهم بضعة عشر ذكراً ـ قال: فنظر إليهم فذرفت عيناه فبكى، ثم قال: بنفسي الفتية الذين تركتهم عيلة لا شيء لهم، فإني بحمد الله قد تركتهم بخير. أي بنيّ إنكم لن تلقوا أحداً من العرب ولا من المعاهدين إلا أن لكم عليهم حقاً، أي بنيّ إن أباكم ميل بين أمرين بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة، فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحبّ إليه من أن تستغنوا ويدخل النار. قوموا عصمكم الله.

وصية دفنه:

قال رجاء بن حيوة: قال لي عمر بن عبد العزيز في مرضه: كن فيمن يغسلني ويكفنني ويدخل قبري، فإذا وضعوني في لحدي فحلّ العقدة، ثم انظر في وجهي، فإني قد دفنت ثلاثةً من الخلفاء كلهم إذا أنا وضعته في لحده حللت العقدة ثم نظرت إلى وجهه فإذا وجهه مسود فهو في غير أهل القبلة. قال رجاء: فكنت فيمن غسله وكفنه ودخل في قبره، فلما حللت العقدة فإذا وجهه كالقراطيس في القبلة.

قال رافع بن حفص المدني: أن عمر بن عبد العزيز لما حضرته الوفاة قال لرجاء بن حيوة: يا رجاء إذا أنا متّ وغسلتموني وكفّنتموني وصليتم عليّ وأدخلتموني لحدي فاجذب اللبنة من عند رأسي فإن رأيت وجهي إلى القبلة فاحمدوا الله وأثنوا عليه، وإن رأيت قد زويت عنها فاخرج إلى المسلمين ما داموا عند لحدي حتى يستوهبوني من ربي. قال: فلما وضع في لحده وفعل باللبن على وجهه جذبت اللبنة من عند رأسه فإذا وجهه إلى القبلة فحمدت الله وأثنيت عليه.

وعن عاصم قال: شهدت عمر بن عبد العزيز قال لأمةٍ له: أراك ستلين حنوطي فلا تجعلي فيه مسكاً.

وقال حصين: إن عمر بن عبد العزيز نهى أن يبنى على القبر بآجر وأوصى بذلك.

كراهية عمر تهوين سكرات الموت:

عن الأوزاعي قال: قال عمر بن عبد العزيز: ما أحب أن تُخفّف عني سكرات الموت لأنه آخر ما يرفع للمؤمنين ـ أو قال للمؤمن ـ.

وعن سفيان بن عيينة قال: قال عمر بن عبد العزيز: اللّهم لا تهوّن عليّ سكرات الموت.

آخر أيام الدنيا:

قال المغيرة بن حكيم: قالت لي فاطمة بنت عبد الملك: كنت أسمع عمر - رحمه الله - في مرضه الذي مات فيه يقول: اللّهم أخف عليهم موتي ولو ساعة واحدة من نهار. قالت: فقلت له يوماً: يا أمير المؤمنين ألا أخرج عنك عسى أن تغفى شيئاً فإنك لم تنم، قالت: فخرجت عنه إلى بيتٍ غير البيت الذي هو فيه، قالت: فجعلت أسمعه يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1]. يردّدها مراراً، ثم أطرق فلبث طويلاً لا أسمع له حسّاً، فقلت لوصيفٍ له يخدمه: ويحك انظر، فلما دخل صاح فدخلت عليه فوجدته ميتاً قد أقبل بوجهه على القبلة، ووضع إحدى يديه على فيه والأخرى على عينيه - رحمه الله -.

وعن عبيدة بن حسّان قال: لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال: اخرجوا عني فلا يبقى عندي أحد، قال: وكان عنده مسلمة بن عبد الملك، قال: فخرجوا، فقعد على الباب هو وفاطمة، قال: فسمعوه يقول:

---

(١) سورة القصص: الآية ٨٣.

مرحباً بهذه الوجوه، ليست بوجوه إنسٍ ولا جان، ثم قال: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[١]. قال: ثم هدأ الصوت، فقال مسلمة لفاطمة قد قبض صاحبك، فدخلوا فوجدوه قد قبض، وغمض، وسوي.

وعن أبي رُقيّة، أنه لما كان مرضه الذي قبض فيه قال: أجلسوني فأجلسوه، ثم قال: أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه وأحدّ النظر فقالوا: إنك لتنظر نظراً شديداً، فقال: إني لأرى حضرة ما هم بإنسٍ ولا جنّ، ثم قبض.

أول أيام الآخرة:

مات عمر بن عبد العزيز لعشر ليالٍ بقين من رجب سنة إحدى ومائة، وهو ابن تسعٍ وثلاثين سنةً وأشهرٍ، وكانت خلافته سنتين وخمسةَ أشهرٍ. ومات بدير سمعان.

وقال الهيثم بن واقد: توفي عمر بخناصرة يوم الأربعاء لخمس ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة،

---

(١) سورة القصص: الآية ٨٣.

وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، وهو ابن تسعٍ وثلاثين سنة وأشهر، ودفن بدير سمعان. وصلى عليه مسلمة بن عبد الملك.

أما رواية أنه مات مسموماً فهي رواية يهودية حملها المغرضون والمرجفون وأشاعوها، وردّدها العامة، والهدف من إشاعتها الطعن بالعهد، وما يمثّله، إذ يقال: إنه عندما تولّى الأمر رجل صالح لم يستطع حتى أهل بيته احتماله فدسّوا له السم. وساعد على قبول هذه الشائعة قصر سنوات حياته والمدة التي وليها. غير أن خلفاء عهد بني أمية قل من تجاوز منهم الخمسين، فلم يكن عمر بن عبد العزيز بالشاذ بينهم. كما في الرواية دعاية لليهودية وأحبارها، وهذا لا يخفى على ذي عقلٍ.

فقد ذكر الرواية عبد الرحمٰن بن الجوزي فقال: «قال وعن والوليد بن هشام قال: لقيني يهودي فأعلمني أن عمر سيلي هذا الأمر، فيعدل فيه، فلقيت عمر فأخبرته بقول اليهودي، قال: فلما ولي لقيني اليهودي فقال: ألم أقل لك إن عمر سيلي هذا الأمر ويعدل فيه، قال: قلت بلى، ثم لقيني بعد ذلك فقال: إن صاحبك قد سُقي، فمُره فليتدارك نفسه، قال: فلقيت عمر فذكرت له ذلك، فقال عمر: قاتله الله ما أعلمه لقد

عرفت الساعة التي سقيت فيها، ولو كان شفائي أن أمس شحمة أذني ما فعلت أو أُوتي بطيبٍ أرفعه إلى أنفي ما فعلت.

قال: وقد رويت لنا من طريق آخر، قال: حدثنا ضمرة بن أبي جميلة عن عمر بن مهاجر قال: لقيني يهودي ـ فذكر نحو ما تقدّم ـ.

قال: حدثنا أبو زيد الدمشقي قال: لما ثقل عمر بن عبد العزيز دُعي له طبيب، فلما نظر إليه قال: الرجل قد سقي السمّ، ولا آمن عليه الموت. فرفع عمر بصره فقال: ولا تأمن الموت أيضاً على من لم يُسْقَ السمّ، قال الطبيب: هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، قد عرفت حين وقع في بطني، قال: فتعالج يا أمير المؤمنين فإني أخاف أن تذهب نفسك، فقال: ربي خير مذهوب إليه، والله لو علمت أن شفائي عند شحمة أذني ما رفعت يدي إلى أذني فتناولته. اللّهم لا تؤخر لعمر في لقائك، قال: فلم يلبث أياماً حتى مات[1].

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز: ابن الجوزي.

تركة عمر:

قال عمر بن عبد العزيز لبنيه، وهو على فراش الموت: لا تتهموا الخازن فإني لا أدع إلا واحداً وعشرين ديناراً، فيها لأهل الدير أجر مساكنهم، وثمن حقلة كانت له فيه، وموضع قبره ـ رحمه الله تعالى ـ.

وعن عمر بن حفص المعيطي قال: حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه، قال: قلت: كم ترك لكم من المال؟ فتبسّم وقال: حدثني مولىً لنا كان يتولّى نفقته قال: قال لي عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه، حين احتضر: كم عندك من المال؟ قلت: أربعة عشر ديناراً، قال: قال: تحتملون بها من منزل إلى منزل، فقلت: كم ترك لكم من الغلّة؟ قال: ترك لنا غلّة ستمائة دينار، ورثناها عنه عن اختيار عبد الملك، وتركنا اثني عشر ذكراً وست نسوة، فقسمناها على خمس عشرة.

وقال عبد الرحمٰن بن الجوزي ـ رحمه الله ـ وبلغني أن المنصور قال لعبد الرحمٰن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، عظني، قال: بما رأيت أو بما سمعت؟ قال: بما رأيت. قال: مات عمر بن عبد العزيز، رحمه الله وخلف أحد عشر

ابناً، وبلغت تركته سبعة عشر ديناراً، كفن منها بخمسة دنانير، واشتري له موضع قبره بدينارين، وقسم الباقي على بنيه، وأصاب كل واحدٍ من بنيه تسعة عشر درهماً. ومات هشام بن عبد الملك، وخلف أحد عشر ابناً، فقسمت تركته، وأصاب كل واحد من تركته ألف ألف، ورأيت رجلاً من ولد عمر بن عبد العزيز قد حمل في يوم واحدٍ مائة فرسٍ في سبيل الله عزّ وجلّ، ورأيت رجلاً من ولد هشام يُتصدّق عليه[1].

ذكر الناس له بعد وفاته:

نظر مسلمة بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز مسجىً فقال: يرحمك الله لقد ليّنت لنا قلوباً قاسيةً، وأبقيت لنا في الصالحين ذكراً.

قال هاشم بن القاسم: سمعت شيخاً من أهل البصرة قال: لما أتى الحسن موت عمر بن عبد العزيز قال: إنا لله وإنا إليه راجعون يا صاحب كل خيرٍ.

وعن وهيب بن الورد قال: بلغنا أن عمر بن عبد العزيز لما توفي جاء الفقهاء إلى زوجته يعزّونها،

---

(١) المصدر السابق نفسه.

فقالوا لها: جئنا لنعزّيك بعمر فقد عمت مصيبته الأمة فأخبرينا يرحمك الله عن عمر كيف كانت حاله في بيته، فإن أعلم الناس بالرجل أهله، فقالت: والله ما كان عمر بأكثركم صلاةً ولا صياماً، ولكني والله ما رأيت عبداً لله قطّ كان أشدّ خوفاً لله من عمر، والله إن كان ليكون في المكان الذي إليه ينتهي سرور الرجل بأهله بيني وبينه لحاف فيخطر على قلبه الشيء من أمر الله فينتفض كما ينتفض طائر وقع في الماء، ثم ينشج، ثم يرتفع بكاؤه حتى أقول والله لتخرجن نفسه فأطرح اللحاف عني وعنه رحمةً له وأنا أقول: يا ليتنا كان بيننا وبين هذه الإمارة بعد المشرقين، فوالله ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها.

وقال عبد الملك بن عمير لما مات عمر بن عبد العزيز: رحمك الله يا أمير المؤمنين إن كنت لغضيض الطرف، أمين الفرج، جواداً بالحق، بخيلاً بالباطل، تغضب في حين الغضب، وترضى في حين الرضى، وما كنت مزاحاً، ولا عياباً، ولا بهاتاً، ولا مغتاباً.

وقال محمد بن معبد أن عمر بن عبد العزيز أرسل بأسارى من أسارى الروم ففادى بهم أسارى من المسلمين، قال: فدخلت على ملك الروم يوماً فإذا هو

جالس على الأرض مكتئباً حزيناً، فقلت: ما شأن الملك؟ فقال: وما تدري ما حدث؟ قلت: ما حدث؟ قال: مات الرجل الصالح، قلت: من؟ قال: عمر بن عبد العزيز، ثم قال ملك الروم: لأحسب أنه لو كان أحد يحيي الموتى بعد عيسى بن مريم لأحياهم عمر بن عبد العزيز، ثم قال: إني لست أعجب من الراهب إن أغلق بابه ورفض الدنيا وترهّب وتعبّد، ولكن أعجب ممن كانت الدنيا تحت قدميه فرفضها وترهّب.

وعن مجاهد أنه شهد وفاة عمر بن عبد العزيز فمر بعبادي أو نبطي، وهو يثير على ثورين له، فقام حين مررت به فقال: من أين أقبلت؟ أشهدت وفاة هذا الرجل؟ فقلت له: نعم، فذرفت عيناه، وترحم عليه، فقلت: لِمَ تترحم عليه وليس هو على دينك؟ فقال: إني لا أبكي عليه، ولكن أبكي على نورٍ كان في الأرض فطُفئ.

وعن الأوزاعي قال: شهدت جنازة عمر بن عبد العزيز، ثم خرجت أريد مدينة قنسرين فمررت على راهبٍ، فقال: يا هذا أحسبك شهدت وفاة هذا الرجل، فقلت له: نعم، فأرخى عينيه فبكى سجاماً، فقلت له: ما يبكيك ولست من أهل دينه؟ فقال: إني لست أبكي

عليه ولكن أبكي على نورٍ كان في الأرض فَطُفِئ.

وعن عبد الله بن وهب قال: سمعت مالك بن أنس يحدّث أن صالح بن علي حين قدم الشام سأل عن قبر عمر بن عبد العزيز، فلم يجد أحداً يخبره حتى دُلّ على راهب فأتى فسأل عنه، فقال: قبر الصديق تريدون؟ هو في تلك المزرعة[1].

رثاء الشعراء:

قال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز:

تنعى النعاة أمير المؤمنين لنا
يا خير من حجّ بيت الله واعتمرا
حملت أمراً عظيماً فاضطلعت به
وسرت فيه بحكم الله يا عمرا
الشمس طالعة ليست بكاسفةٍ
تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

وقال الفرزدق في رثائه عمر بن عبد العزيز:

كم من شريعة حقٍّ قد شرعت لهم
كانت أميتت وأخرى منك تنتظر

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز: ابن الجوزي.

يا لهف نفسي ولهف اللاهفين معي
على العدول التي تغتالها الحفر

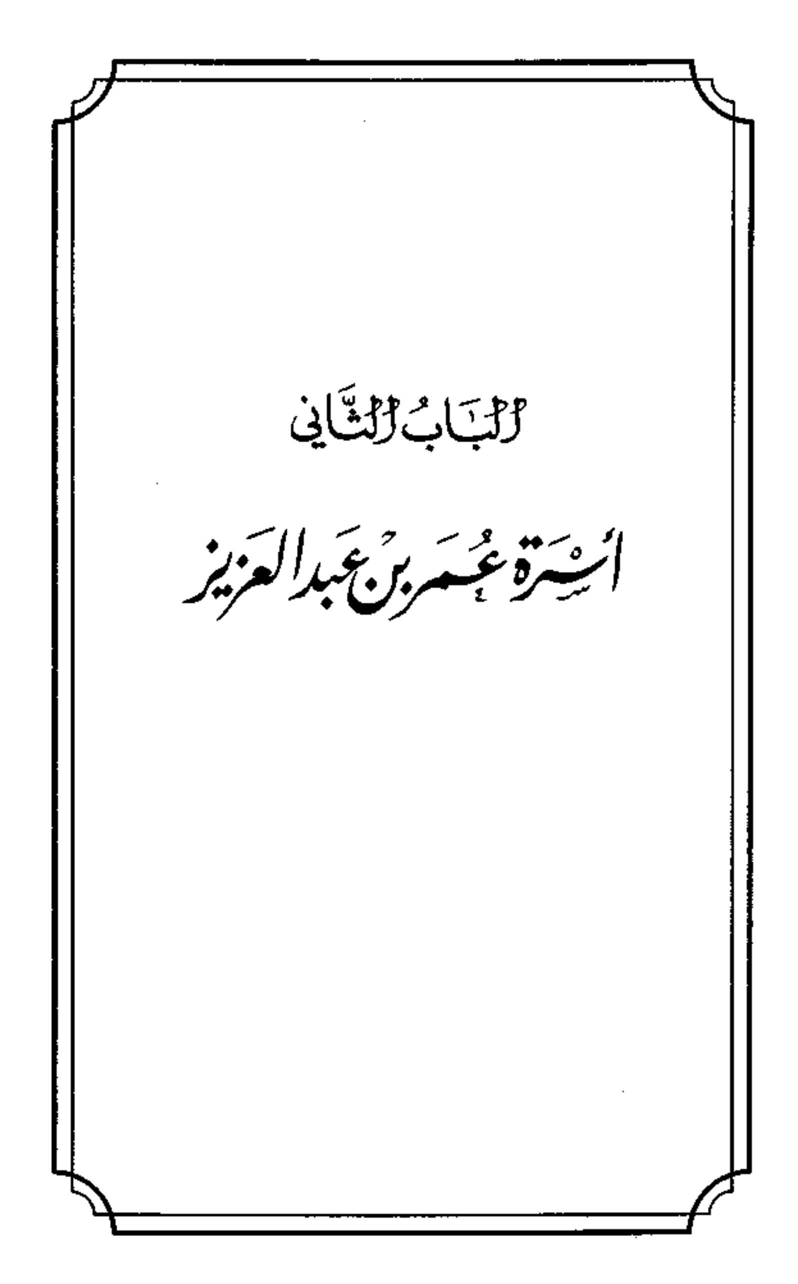
لما بلغ محارب بن دثار موت عمر بن عبد العزيز دعا بكاتبه فقال: اكتب، فكتب: بسم الله الرحمٰن الرحيم. فقال: امحه فإن الشعر لا يكتب فيه: بسم الله الرحمٰن الرحيم، ثم قال:

لو أعظم الموت خلقاً أن يواقعه
لعدله لم يصبك الموت يا عمر
كم من شريعة قد نعشت لهم
كادت تموت وأخرى منك تنتظر
يا لهف نفسي ولهف الواجدين معي
على العدول التي تغتالها الحفر
ثلاثة ما رأت عيني لهم شبهاً
تضمّ أعظمهم في المسجد الحفر
وأنت تتبعهم لم تأل مجتهداً
سعياً لهم سنن بالحق تفتقر
لو كنت أملك والأقدار غالبة
تأتي رواحاً وتبياناً وتبتكر
صرفت عن عمر الخيرات مصرعه
بدير سمعان لكن يغلب القدر

وقال ابن عائشة يرثي عمر بن عبد العزيز:

أقول لما نعى الناعون لي عمرا
لا يبعدن قوام الحق والدين
لم تلهه عمره عين يفجّرها
ولا النخيل ولا ركض البراذين
قد غيّب الراسون اليوم إذ غمسوا
بدير سمعان قسطاس الموازين





الباب الثاني

أسرة عمر بن عبد العزيز

الفصل الأول

والد عمر

أبو عمر بن عبد العزيز:

عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: أمير مصر، وقد استقل بإمرتها أكثر من عشرين سنة.

يروي عن أبيه، وأبي هريرة، وعقبة بن عامر، وابن الزبير. وروى عنه ابنه عمر بن عبد العزيز، والزهري، وعلي بن رباح، وابن أبي مليكة، وبَحير بن ذاخر (بحير المعافري)، وكان من حرس عبد العزيز. وكُثَيِّر بن مُرّة.

قال عبد العزيز بن مروان عند موته: يا ليتني لم أكن شيئاً، ليتني كهذا الماء الجاري. وقيل: قال: هاتوا كفني، أفٍّ لك ما أقصر طويلك وأقل كثيرك.

ولما احْتُضِرَ عبد العزيز بن مروان، أتاه البشير

يُبشره بماله الواصل في العام. فقال: مالك؟ قال: هذه ثلاثمائة مُذيٍ من ذهبٍ، قال: مالي وله، لوددت أنه كان بَغراً حائلاً بنجد.

له دار بدمشق إلى جانب الجامع، هي: السُّمَيْساطيّة[1].

كان عبد العزيز ولي العهد بعد أخيه عبد الملك، عقد له بذلك أبوه مروان، ومات عبد العزيز سنة خمسٍ وثمانين قبل أخيه عبد الملك، فلما جاءه نعيه لأخيه عقد بولاية العهد لابنيه الوليد ثم سليمان.

مات عبد العزيز بحلوان، وهي مدينة صغيرة أنشأها عبد العزيز جنوب الفسطاط على بريدٍ منها. وكان ابنه أَصْبَغ بن عبد العزيز قد مات قبل أبيه بستة عشر يوماً فحزن عليه، ومرض، ومات. ويكنى عبد العزيز أبا الأصبغ.

وأم عبد العزيز هي ليلى بنت زبّان بن الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث من كلب.

---

(١) السميساطية: نسبةً إلى السميساطي أبي القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي الحبشي، من أكابر الرؤساء بدمشق المتوفى ٤٢٣ هـ الذي اشتراها حين قدم دمشق. وسميساط قلعة على نهر الفرات بين قلعة الروم وملاطية.

أمّ عمر بن عبد العزيز:

ليلى أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب:

حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم، قال: بينا أنا مع عمر بن الخطاب، وهو يعسّ بالمدينة إذ أعيا فاتكأ على جانب جدارٍ في جوف الليل، فإذا امرأة تقول لابنتها: يا ابنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء، فقالت لها: يا أمتاه أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم؟ فقالت: وما كان من عزمته يا بنية، قالت: إنه أمر مناديه فنادى أن لا يشاب اللبن بالماء، فقالت لها: يا بنتاه، قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنك بموضعٍ لا يراك عمر ولا منادي عمر، فقالت الصبية لأمها: يا أمتاه والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلا ـ وعمر يسمع كل ذلك ـ فقال: يا أسلم علّم الباب واعرف الموضع، ثم مضى في عسسه، فلما أصبح قال: يا أسلم، امض إلى ذلك الموضع، فانظر من القائلة ومن المقول لها، وهل لهم من بعل. فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيّم لا بعل لها، وإذا تيك أمها، وإذا ليس لهما رجل، فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته، فدعا عمر ولده فجمعهم فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوّجه، ولو كان

بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه أحد منكم إلى هذه الجارية، فقال عبد الله: لي زوجة، وقال عبد الرحمٰن: لي زوجة، وقال عاصم: يا أبتاه، لا زوجة لي فزوّجني، فبعث إلى الجارية فزوّجها من عاصم[1]، فولدت لعاصم بنتاً، هي ليلى أم عاصم فتزوجها عبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز.

لما أراد عبد العزيز بن مروان أن يتزوج أم عمر قال لقيّمه: اجمع لي أربعمائة دينار من طيّب مالي فإني أريد أن أتزوّج إلى أهل بيتٍ لهم صلاح. قال: فتزوج أم عمر بن عبد العزيز[2].

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز: عبد الرحمٰن بن الجوزي.
(٢) طبقات ابن سعد.

الفصل الثاني

إخوة عمر بن عبد العزيز

تزوّج عبد العزيز بن مروان ثلاث زوجات هنّ:

١ - أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب: وقد أنجبت له عمر، وعاصماً، وأبا بكر، ومحمداً.

٢ - أم عبد الله بنت عبد الله بن عمرو بن العاص: وأنجبت له سهيلاً وسهلاً، وأم الحكم.

٣ - ليلى بنت سهيل بن حنظلة بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب. وأنجبت أم البنين. هذا عدا أمهات الأولاد، وقد أنجبن:

الأصبغ، وأم عثمان، وأم محمد، وزبان، وجزي.

فكان لعبد العزيز بن مروان تسعة من الأبناء الذكور. وأربع من الإناث.

الإخوة الذكور: وهم إخوة عمر بن عبد العزيز:

١ ـ عاصم: شقيق عمر فأمه أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.

٢ ـ أبو بكر: شقيق عمر وعاصم.

٣ ـ محمد: شقيق عمر، وعاصم، وأبي بكر. وقد مات صغيراً.

٤ ـ سهيل: وأمه أم عبد الله بنت عبد الله بن عمرو بن العاص.

٥ ـ سهل: شقيق سهيل.

٦ ـ الأصبغ: وأمه أم ولد. وقد مات قبل أبيه بستة عشر يوماً.

٧ ـ زبّان؛ وأمه أم ولد.

٨ ـ جزيّ: وأمه أم ولد.

البنات: وهن أخوات عمر:

١ ـ أم الحكم: وأمها أم عبد الله بنت عبد الله بن عمرو بن العاص، فهي شقيقة سهيل وسهل.

٢ ـ أم البنين: وأمها ليلى بنت سهيل بن حنظلة الكلابية. وقد تزوج الوليد بن عبد الملك بن مروان أم البنين، وهي ابنة عمه.

٣ ـ أم عثمان: وأمها أم ولد، وهي شقيقة الأصبغ.

٤ ـ أم محمد: وأمها أم ولد، وهي شقيقة الأصبغ، وأم عثمان.

الفصل الثالث

زوجات عمر بن عبد العزيز

تزوّج عمر بن عبد العزيز ثلاث زوجات، وهنّ:

١ ـ فاطمة بنت عبد الملك بن مروان فهي ابنة عمه عبد الملك، وأمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة.

قال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز: قد زوّجك أمير المؤمنين فاطمة بنت عبد الملك، فقال: وصلك الله يا أمير المؤمنين، فقد كفيت المسألة، وأجزلت العطية، فأُعْجِبَ به. فقال بعض ولد عبد الملك، هذا كلام تعلّمه فأدّاه. فدخل على عبد الملك، فقال: يا عمر كيف نفقتك؟ قال: بين السيئتين. قال: وما هما؟ قال: قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ

قَوَامًا ﴿٦٧﴾[1]. فقال عبد الملك: من علّمه هذا؟.

لما بنى عمر بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبد الملك بن مروان أُسرج في تلك الليلة في مسارجها الغالية[2]. كان مكتوب على قبة فاطمة:

بنت الخليفة والخليفة جدها

أخت الخلائف والخليفة بعلها

كان عند فاطمة بنت عبد الملك جوهر، فقال لها عمر: من أين صار هذا إليك؟ قالت: أعطانيه أمير المؤمنين. قال: إما أن تردّيه إلى بيت المال، وإما أن تأذني لي في فراقك، فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت. قالت: لا، بل أختارك على أضعافه لو كان لي، فوضعته في بيت المال. فلما ولي يزيد بن عبد الملك قال لها: إن شئت رددته عليك، أو قيمته، قالت: لا أريده، طبت به نفساً في حياته فأرجع فيه بعد موته؟ لا حاجة لي فيه. فقسمه يزيد بين أهله وولده.

ودارها بدمشق في العُقيبة خارج باب الفراديس.

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٧.

(٢) الغالية: أخلاط من الطيب، وتغليت بها إذا تطيبت بها.

حكت عن زوجها عمر بن عبد العزيز. وروى عنها المغيرة بن حكيم الصنعاني اليماني، وعطاء بن أبي رباح، وأبو عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، ومزاحم مولى عمر، وزفر مولى مسلمة بن عبد الملك. وكانت فيمن حدثت بدمشق من النساء.

وأنجبت لعمر: إسحاق، ويعقوب، وموسى، وماتوا جميعاً صغاراً.

وتزوّجها بعد وفاة عمر بن عبد العزيز سليمان الأعور بن داود بن مروان، وأنجبت له هشاماً وعبد الملك.

٢ ـ لميس بنت علي بن الحارث بن عبد الله بن الحصين الحارثي: وأنجبت له: عبد الله، وبكراً، وأم عمار.

٣ ـ أم عثمان بنت شعيب بن زبّان بن الأصبغ: وأنجبت له إبراهيم.

هذا عدا أمهات الأولاد، وقد أنجبن له: عبد الملك، والوليد، وعاصم، ويزيد، وعبد الله، وزبّان من البنين، وأَمَة، وأم عبد الله من البنات.

الفصل الرابع

أولاد عمر بن عبد العزيز

كان لعمر بن عبد العزيز ثلاثة عشر ولداً من البنين وثلاثاً من البنات.

البنون: وهم من نسائه الثلاث ومن أمهات الأولاد.

١ ـ **عبد الملك بن عمر**: كان رجلاً عابداً، أصيب بالطاعون، ومات في حياة أبيه، وأمه أم ولد.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى ابنه عبد الملك: إنه ليس من أحدٍ رشده وصلاحه أحبّ إليّ من رشدك وصلاحك إلا أن يكون والى عصابة من المسلمين أو من أهل العهد لهم في صلاحه ما لا يكون لهم في غيره أو يكون عليهم من فساده ما لا يكون لهم من غيره.

وكتب إليه في العام الذي استخلف فيه، وابنه عبد الملك بالمدينة: أما بعد، فإن أحق من تعاهدت

بالوصية والنصيحة بعد نفسي أنت، وأن أحق من وعى ذلك وحفظه عني أنت، إن الله له الحمد قد أحسن إلينا إحساناً كثيراً بالغاً في لطيف ما أمرنا وعامته، وعلى الله إتمام ما غبر من النعمة، وإياه نسأل العون على شكرها، فاذكر فضل الله عليك وعلى أبيك، ثم أعن أباك على ما قوي عليه وعلى ما ظننت أن عنده فيه عجزاً عن العمل فيما أنعم به عليه وعليك في ذلك فراغ نفسك وشبابك وصحتك، وإن استطعت أن تكثر تحريك لسانك بذكر الله تحميداً وتسبيحاً وتهليلاً فافعل، فإن أحسن ما وصلت به حديثاً حسناً حمد الله وشكره، وإن أحسن ما قطعت به حديثاً سيئاً حمد الله وذكره، فلا تفتتن فيما أنعم الله به عليك فيما عسى أن تقرظ به إياك فيما ليس فيه، إن أباك كان بين ظهري إخوته يفضل عليه الكبير ويدني عليه الصغير، وإن كان الله قد رزقني من والدي حسباً جميلاً كنت به راضياً أرى أفضل ببره ولده عليّ حقاً حتى ولدت وولدت طائفة من إخوتك، ولا أخرج بكم من المنزل الذي أنا فيه، فمن كان راغباً في الجنة وهارباً من النار فالآن التوبة مقبولة والذنب مغفور قبل نفاد الأجل وانقضاء العمل وفراغ من الله للمنقلبين ليدينهم بأعمالهم في موضع لا تقبل فيه الفدية ولا تنفع فيه المعذرة تبرز فيه الخفيات وتبطل فيه الشفاعات يَرِدهُ

الناس بأعمالهم ويصدرون عنه أشتاتاً إلى منازلهم فطوبى فيه يومئذ لمن أطاع الله، وويل يومئذ لمن عصى الله، فإن ابتلاك الله بغنىً فاقتصد في غناك، وضع لله في نفسك، وأدّ إلى الله في فرائض حقه من مالك، وقل كما قال الصالح ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[1].

وإياك أن تفخر بقولك وأن تعجب بنفسك أو يخيل إليك أن ما رزقته لكرامةٍ لك على ربك وفضيلة على من لم يرزق مثل غناك فإذا أنت أخطأت باب الشكر وتركت منازل أهل الفقر وكنت ممن طغى للغنى وتعجّل طيّباته في الحياة الدنيا فإني لأعظك بهذا وإني لكثير الإسراف على نفسي غير محكم لكثير من أمري، ولو أن المرء لم يعظ أخاه حتى يحكم أمر نفسه ويعمل في الذي خلق له من عبادة ربه إذن لتواكل الناس الخير وإذن لرُفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقلّ الواعظون والساعون لله بالنصيحة في الأرض، فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.

---

(١) سورة النمل: الآية ٤٠.

وعن سيار بن الحكم قال: كان ابن لعمر بن عبد العزيز يقال له عبد الملك، وكان ـ رحمه الله ـ يفضل على عمر، قال: يا أبت أقم الحق ولو ساعةً من نهار.

غضب عمر بن عبد العزيز يوماً غضباً شديداً، وكان فيه حدة ـ وعبد الملك ابنه حاضر ـ فلما سكن غضبه، قال: يا أمير المؤمنين أنت في قدر نعمة الله عليك وموضعك الذي وضعك به، وما ولاّك من أمر عباده يبلغ بك الغضب ما أرى، قال: كيف قلت؟ فأعاد عليه كلامه، فقال: أما تغضب يا عبد الملك؟ قال: ما تغني سعة جوفي إن لم أرد فيه الغضب حتى لا يظهر مني شيء أكرهه ـ قال: وكان بطيناً ـ.

دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه عمر، فقال: يا أمير المؤمنين إن بي إليك حاجة فأخلني ـ وعنده مسلمة بن عبد الملك ـ فقال له عمر: أسرّ دون ابن عمك؟ قال: نعم، فقام مسلمة وخرج، وجلس بين يديه، فقال: يا أمير المؤمنين ما أنت قائل غداً لربك إذا سألك؟ فقال: رأيت بدعة فلم تُمتها أو سنة فلم تُحيها، فقال: يا بُنيّ أشيء حملك الرعية إليّ أم رأي رأيته؟ قال: بل رأي رأيته من قِبل نفسي، وعرفت أنك مسؤول فيما أنت قائل، فقال له أبوه: رحمك الله وجزاك من

ولدٍ خيراً، فإني والله لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير. يا بُنيّ إن قومك قد شدّوا هذا الأمر عقدةً عقدةً وعروةً عروةً ومتى أريد مكابدتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا عليّ فتقاً تكثر فيه الدماء، والله لزوال الدنيا أهون عليّ من أن يُهراق في سببي محجمة من دم، أو ما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سُنّة حتى يحكم الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الحاكمين.

قال عمر بن عبد العزيز لمولاه مزاحم: كما ترانا أصبنا من أموال المسلمين؟ قال: يا أمير المؤمنين أتدري ما عيالك؟ قال: نعم .الله لهم. فخرج مزاحم من عنده فلقي ابنه عبد الملك، فقال له: أتدري ما قال أمير المؤمنين؟ قال: وما قال أمير المؤمنين؟ قال: قال: يا مزاحم كم أصبنا من أموال المسلمين؟ فقلت له: هل تدري ما عيالك؟ قال: نعم .الله لهم. فقال عبد الملك: بئس الوزير أنت يا مزاحم، ثم جاء يستأذن على أبيه، فقال للآذن: استأذن لي عليه، فقال له الآن: إن لأبيك من الليل والنهار هذه الساعة. فقال لا بد من لقائه. فسمع عمر مقالتهما، فقال: من هذا؟ قال الآذن: عبد الملك، قال ائذن له، فدخل، فقال: ما جاء بك

في هذه الساعة؟ قال: شيء ذكره لي مزاحم، قال: نعم فما رأيك؟ قال: أن تمضيه، قال: فإني أروح إلى الصلاة فأصعد على المنبر فأردّه على رؤوس الناس. قال: ومن لك أن تعيش إلى الصلاة، قال: فمه، قال: الساعة. قال: فخرج ونودي: الصلاة جامعة، فصعد المنبر فردّه على رؤوس الناس.

دخل عبد الملك على أبيه عمر، فقال: أين وقع لك رأيك فيما ذكر لك مزاحم من ردّ المظالم، قال: على إنفاذه، فرفع عمر يده، ثم قال: الحمد لله الذي جعل من ذريتي من يعينني على أمر ديني، نعم يا بُنيّ أصلي الظهر إن شاء الله تعالى ثم أصعد المنبر فأردّها على رؤوس الناس. فقال عبد الملك: يا أمير المؤمنين من لك بالظهر، ومن لك أن تسلم نيتك إلى الظهر، فقال عمر: فقد تفرّق الناس للقائلة. قال عبد الملك: تأمر مناديك فينادي الصلاة جامعة حتى يجتمع الناس، فأمر مناديه فنادى فاجتمعوا وقد جيء بسفطٍ أو جونة فيها تلك الكتب، وفي يد عمر جلم يقصه حتى نودي بالظهر.

جلس عمر بن عبد العزيز يوماً للناس فلما انتصف النهار ضجر وملّ وكَلَّ فقال للناس: مكانكم حتى

أنصرف إليكم، ودخل ليستريح ساعةً، فجاء ابنه عبد الملك فسأل عنه، فقالوا: دخل، فاستأذن عليه فأذن له، فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين، ما أدخلك؟ قال: أردت أن أستريح ساعةً، قال: أو أمنت الموت أن يأتيك ورعيتك على بابك ينتظرونك وأنت تحتجب عنهم، فقام عمر بن عبد العزيز من ساعته وخرج للناس.

وعن ميمون بن مهران أنه قال: ما رأيت ثلاثةً في بيتٍ خيراً من عمر بن عبد العزيز وابنه عبد الملك ومولاه مزاحم.

دخل عبد الملك على أبيه عمر، فقال: يا أمير المؤمنين ماذا تقول لربك إذا أتيت وقد تركت حقاً لم تُحيه وباطلاً لم تُمته؟ قال: اقعد يا بني إن آباءك وأجدادك خدعوا الناس الحق بانتهت الأمور إليّ، وقد أقبل شرّها وأدبر خيرها لكن ليس حسناً جميلاً أن لا تطلع الشمس عليّ في يوم لا أحييت فيه حقاً وأمت باطلاً حتى يأتيني الموت وأنا على ذلك.

وعن ميمون بن مهران قال: قال لي عمر بن عبد العزيز: إن ابني عبد الملك قد زُيّن في عيني وقد أعجبت به، وما أرى إلا الهوى قد غلب على علمي بفضله، وأحب أن تأتيه وتستشيره فتنظر إلى عقله، قال:

فأتيته فاستأذنت عليه فقعدت عنده ساعةً فأُعجبت به إذ جاءه الغلام فقال: قد فرغنا مما أمرتنا به، قلت: وما ذاك؟ قال: الحمام أمرته أن يخليه لي. قلت: آه آه قد كنت أعجبت بك حتى سمعت هذا، قال: وما ذاك يا عماه؟ قلت: أرأيت الحمام ملكاً لك، قال: لا. قلت: فما الذي يحملك على أن تصدّ عنه غاشيته وتعطّله على أهله، قال: أنا أعطيه غلّة يومه. قلت: وهذه نفقة كبر خالطها إسراف كأنك تريد بذلك الأبهة، وإنما أنت رجل من المسلمين كأحدهم يجزيك أن تكون مثلهم، قال: فقال: والذي عظم حقك ما يمنعني أن أدخل معهم إلا أني أرى قوماً رعاعاً بغير ميازر، وأكره أدبهم على الميازر فيضعون ذلك على سلطاننا، خلّصنا الله منهم كفافاً. فقلت: تدخله ليلاً. قال: أفعل، ولولا برد بلادنا ما دخلته ليلاً ولا نهاراً.

ومات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز في حياة أبيه.

عن زياد بن حسان أنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك، رحمه الله، وسوّى عليه التراب، سووا قبره بالأرض وصنعوا عند رأسه خشبتين من زيتون إحداهما عند رأسه والأخرى عند رجليه، ثم

جعل قبره بينه وبين القبلة، واستوى قائماً فأحاط به الناس فقال: والله يا بني لقد كنت براً بأبيك، والله ما زلت مذ وهبك الله لي مسروراً بك، ولا والله ما كنت قط أكثر سروراً ولا أرجى لحظي من الله فيك منذ وضعتك في المنزل الذي صيّرك الله فيه، فرحمك الله، وغفر ذنبك وجزاك بأحسن عملك، ورحم الله لكل شافعٍ يشفع لك بخيرٍ من شاهدٍ أو غائبٍ. رضينا بقضاء الله، وسلّمنا لأمره، والحمد لله رب العالمين، وانصرف.

وعن حفص بن عمر، قال: لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ظلّ يثني عليه، فقال له مسلمة: يا أمير المؤمنين أرأيت لو بقي أكنت تعهد إليه؟ قال: لا، قال: لمَ وأنت تثني عليه هذا الثناء. قال: لولا أني أخاف أن أكون قد زُيّن في عيني من أمره ما زُيّن في عين الوالد من الولد لرأيت أنه أهل للخلافة.

وعن رجاء بن أبي مسلمة قال: لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الأمصار ينهاهم أن يُناح عليه فكتب: إن الله تعالى أحب قبضه وأعوذ بالله أن أخالف محبته.

رأى عمر بن عبد العزيز، وهو يدفن ابنه عبد الملك، رجلاً يُشير بشماله، فقال: يا هذا إذا

تكلمت فلا تُشر بشمالك، أشر بيمينك، فقال الرجل: ما رأيت كاليوم أن رجلاً دفن أعزّ الناس ثم إنه يُهمّه شمالي ويميني، فقال عمر: إذا استأثر الله بشيء قال عنه.

وعن أبي عبد الرحمٰن القرشي قال: قال رجل لعمر بن عبد العزيز، وهو في قبر ابنه، آجرك الله يا أمير المؤمنين ـ وأشار الرجل بشماله ـ فقال له عمر: يا عبد الله أشر بيمينك، فقال الرجل: أما في موت عبد الملك ما يشغل عن نصيحة المسلم.

لما هلك عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، وسهل بن عبد العزيز، ومزاحم في أيامٍ متتابعةٍ دخل الربيع بن سبرة عليه فقال: أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين، فما رأيت أحداً أصيب بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعةٍ، والله ما رأيت مثل ابنك ابناً، ولا مثل أخيك أخاً، ولا مثلا مولاك مولى قطّ، فطأطأ عمر رأسه، فقال لي رجل معي على الوسادة: لقد هيجت على أمير المؤمنين، قال: ثم رفع رأسه فقال: كيف قلت يا ربيع؟ فأعدت عليه ما قلت أولاً، فقال: لا والذي قضى عليهم بالموت ما أحب أن شيئاً من ذلك كان لم يكن.

وعن علي بن حفص قال: شهدت عمر بن عبد العزيز تتابعت عليه مصائب: مات أخ له، ثم مات

مزاحم، ثم مات ابنه عبد الملك، فلما مات عبد الملك تكلم فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: لقد دفعته إليّ النساء في الخرق فما زلت أرى فيه السرور وقرة العين إلى يوم الناس هذا، فما رأيت فيه أمراً قط أقرّ عيني من أمرٍ رأيته اليوم.

قام عمر بن عبد العزيز إلى مصلاه فذكر سهل بن عبد العزيز، وعبد الملك، ومزاحماً، فقال: اللهم إنك قد علمت ما كان من عونهم ومعونتهم فأخذتهم فلم يزدني ذلك إلا حباً ولا إلى ما عندك إلا شوقاً، ثم رجع إلى مجلسه.

لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل عليه فنظر إليه، وخرج، وهو يتمثّل:

لا يغرنك عشاء ساكن

قد يوافق بالمنيات السحر

قام عمر بن عبد العزيز على قبر ابنه عبد الملك فقال: رحمك الله يا بنيّ فقد كنت سارّاً مولوداً، وبارّاً ناشئاً، وما أحبّ أني دعوتك فأجبتني.

قال عمر بن عبد العزيز لأبي قلابة - وقد ولي غسل ابنه عبد الملك - إذا غسّلته وكفّنته فآذني قبل أن

تغطي وجهه ففعل، فنظر إليه فقال: رحمك الله يا بني وغفر لك.

خطب عمر بن عبد العزيز الناس بعد وفاة ابنه عبد الملك، ونهى عن البكاء عليه، وقال: إن الله عزّ وجلّ لم يجعل لمحسنٍ ولا لمسيءٍ في الدنيا خلداً، ولم يرض بما أعجب أهلها ثواباً لأهل طاعته ولا ببلائها عقوبةً لأهل معصيته، فكل ما فيها من محبوبٍ متروكٍ، وكل ما فيها من مكروهٍ مضمحل، لذلك خُلقت وكُتب على أهلها الفناء. فأخبر أنه يرث الأرض ومن عليها، فاتقوا الله واعملوا ليوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً.

لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ورجع عمر من المقبرة رأى قوماً يرمون، فلما رأوه أمسكوا، فقال: ارموا ووقف عليهم، فرمى أحد الرامين، فأخرج، فقال له عمر: أَخْرَجْتَ فقصّر، ثم قال للآخر: ارم، فقصّر، فقال له عمر: قصّرت فبلّغ. فقال له مسلمة: يا أمير المؤمنين أتفرّغ قلبك لما تفرّغ له، وإنما نفضت يدك من تراب ابنك الساعة ولم تصل إلى منزلك بعد؟ فقال له عمر: يا مسلمة إنما الجزع قبل المصيبة، فإذا وقعت المصيبة فالهُو عما فاتك.

دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك وهو مريض، فقال له: كيف تجدك يا بنيّ؟ قال: أجدني في الحق، والله لئن يكون ما تُحبّ أحبّ إليّ مما أُحبّ. فلما هلك عبد الملك قال عمر: يا بني لقد كنت في الدنيا كما قال الله جلّ ثناؤه: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[1] ولقد كنت أفضل زينتها، وإني لأرجو أن تكون اليوم من الباقيات الصالحات التي هي خير ثواباً وخير أملاً، والله ما سرّني أني دعوتك فأجبتني، فعزّاه الناس وعزّاه محمد بن الوليد بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين ليشغلك ما أقبل من الموت عليك عما هو في شغلٍ مما يدخل عليك، وأعدّ لنزوله عدة يكن لك حجاباً وستراً من النار، وقال: يا أمير المؤمنين لو ترك رجل تعزية أخيه لعلمه وانتباهه لكنته، ولكن الله قضى أن الذكرى تنفع المؤمنين.

وقام أعرابي من بني كلاب بين السماطين فقال:

تعزّ أميرَ المؤمنين فإنه
لما قد ترى يغذي الوليد والمولد
هل ابنك ابنك إلا من سلالة آدم
لكلٍ على حوض المنية مورد

---

(١) سورة الكهف: الآية ٤٦.

ثم كتب عمر:

أما بعد: فإن الله تعالى كتب على خلقه حين خلقهم فجعل مصيرهم إليه فقال جلّ ثناؤه فيما أنزل في كتابه الصادق ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝٤٠﴾[1]، وقال لنبيّه ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝٣٤﴾[2]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[3]، وقال عزّ وجلّ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝٥٥﴾[4] فالموت سبيل الناس في الدنيا، لم يكتب الله لمحسن ولا لمسيءٍ فيها خلوداً، ولم يرض ما أعجب أهلها ثواباً لأهل طاعته، ولم يرض ببلائها عقوبةً لأهل معصيته، فكل شيءٍ منها أعجب أهلها أو كرهوا منها شيئاً متروك، لذلك خلقت منذ خلقت، ولذلك سكنت منذ سكنت ليبلو الله فيها عباده أيهم أحسن عملاً. فمن قدم عند خروجه من الدنيا إلى طاعة الله ورضوانه من أنبيائه وأئمة الهدى الذين أمر الله نبيه أن يقتدي بهداهم خلد في دار

---

(١) سورة مريم: الآية ٤٠.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٥.

(٤) سورة طه: الآية ٥٥.

الإقامة من فضله لا يمسّهم فيها نصب ولا يمسهم فيها لغوب، ومن كانت مفارقته الدنيا إلى غيرهم وإلى غير منازلهم فقد قابل الشرّ الطويل وأقام على ما لا قبل له به. وأسأل الله برحمته أن يبقينا ما أبقانا في الدنيا مُطيعين أمره مُتَّبعين لكتابه، وأن يقدمنا إذا خرجنا من الدنيا إلى نبينا ومن أمر أن يقتدي بهداه من المصطفين الأخيار، وأسأله برحمته أن يقينا أعمال السوء في الدنيا والسيئات يوم القيامة.

ثم إن عبد الملك بن أمير المؤمنين كان عبداً لله أحسن الله إليه وأحسن إلى أبيه فيه، أعاشه ما أحبّ أن يعيشه، ثم قبضه حين أحب أن يقبضه، وهو فيما علمت بالموت مغتبط يرجو من الله فيه رجاء حسناً، وأعوذ بالله أن تكون لي محبة في شيء من الأمور تخالف محبة الله تعالى. فإن ذلك لا يصلح ليس في بلائه عندي ولا إحسانه إليّ ولا نعمته عليّ. وقد قلت ما رجوت به ثواب الله الحسن وموعوده الصادق من المغفرة إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم لم أجد في نفسي بعد ذلك والحمد لله إلا خيراً ممن رضي بقضاء الله تعالى واحتساب لما كان من المصيبة، فحمدت الله على ما مضى وعلى ما بقي وعلى كل حالٍ من أمر الدنيا

والآخرة، أحببت أن أعلمكم بذلك وأكتب إليكم به، فلا أعرفن مما أُنيح عليه في شيءٍ مما قبلكم، ولا يجتمع على ذلك أحد من الناس، ولا رخصت فيه لقريبٍ من الناس ولا بعيد والسلام.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمٰن في شأن ابنه عبد الملك حين توفي: أما بعد، فإن الله تبارك اسمه وتعالى جده كتب على خلقه حين خلقهم الموت، وجعل مصيرهم إليه، فقال فيما أنزل من كتابه الصادق الذي حفظه بعلمه وأشهد ملائكته على حقه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝٤٠﴾[1] ثم قال لنبيه عليه السلام: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ۝٣٤﴾[2]. ثم قال عز وجل ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝٥٥﴾[3] فالموت سبيل الناس في الدنيا و... (وسبق محتوى كتابه).

وقال عمر بن عبد العزيز عند وفاة ابنه عبد الملك: الحمد لله الذي جعل الموت حتماً واجباً

(١) سورة مريم: الآية ٤٠.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٤.
(٣) سورة طه: الآية ٥٥.

على خلقه ثم سوّى فيه بينهم، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[1] فليعلم ذوو النهى أنهم صائرون إلى قبورهم، مفردون بأعمالهم، واعلموا أن عند الله مسألة فاضحة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾[2].

كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يعزيه بابنه عبد الملك، فقال عمر لكاتبه: أجبه، وأدق القلم: أما بعد، فإن هذا أمر كنّا وطّنا أنفسنا عليه، فلما نزل لم ننكره والسلام.

وقال عمر بن عبد العزيز: ما كنت على حالةٍ من حالات الدنيا فسرّني أني على غيرها.

وقال عمر بن عبد العزيز أيضاً: ما لي في الأمور هوى سوى مواقع قضاء الله فيها.

دخل هشام بن الغار على عمر بن عبد العزيز لما مات ابنه عبد الملك بن عمر فعزّاه، فقال عمر: وأنا أعوذ بالله أن تكون لي محبة في شيءٍ من الأمور تخالف محبة الله عزّ وجلّ، فإنه لا يصلح لي في بلائه عندي.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٥.

(٢) سورة الحجر: الآية ٩٢.

٢ ـ **عبد العزيز بن عمر**: وأمه أم ولد. ولي مكة والمدينة ليزيد بن عبد الملك، ثم أثبته مروان بن محمد عليهما، ثم عزله عنها.

روى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز الحديث عن صالح بن كيسان عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله، ﷺ: «ما من مسلم خرج من بيته يريد سفراً أو غيره فقال حين يخرج: بسم الله آمنت بالله اعتصمت بالله. توكلت على الله. لا حول ولا قوة إلا بالله إلا رُزق خير ذلك المخرج وصُرف عنه شرّه».

وروى عن يحيى عن إسماعيل بن جرير عن قرعة فقال: أرسلني ابن عمر إلى حاجته فأخذ بيدي وقال: تعال أودّعك كما ودّعني رسول الله ﷺ، أرسلني إلى حاجته فقال: «أستودعك الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك».

وروى عن مكحول قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم رُفعت في عليين».

قال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز: قال لي أبو جعفر ـ يعني أمير المؤمنين ـ كم كانت غلّة أبيك

حين ولي الخلافة؟ قلت: أربعين ألف دينار. قال: فكم كانت غلته لما توفي؟ قلت: أربعمائة دينار، ولو بقي لنقصت.

قال عبد العزيز: قال لي أبي: يا بني إذا سمعت كلمةً من امرئٍ مسلم فلا تحملها على شيءٍ من الشر ما وجدت لها محملاً علَى الخير.

وعنه قال: كنت أحبّ لقاء الزهري، فرأيته في النوم فقلت له: يا أبا بكر هل من خاصة دعوة، قال: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، توكلت على الحيّ الذي لا يموت، اللهم إني أسألك العافية، وأسألك أن تُعيذني وذريتي من الشيطان الرجيم.

٣ ـ **عبد الله بن عمر**: وأمه أم ولد. وقد ولي الكوفة.

أتى عبد الله إلى أبيه عمر، وهو خليفة، يستكسي أباه، فقال: يا أبت اكْسُني، فقال: اذهب إلى الخيار بن رياح البصري فإن لي عنده ثياباً فخذ منها ما بدا لك؛ قال: فذهبت إلى الخيار بن رياح، فقلت: استكسيت أبي، فأرسلني إليك، وقال: إن لي عند الخيار بن رياح ثياباً؛ قال: صدق أمير المؤمنين، فأخرج إليّ ثياباً

سنبلانية أو قطرية، فقال: هذا ما لأمير المؤمنين عندي فخذ منها ما بدا لك، قال عبد الله: ما هذا من ثيابي ولا من ثياب قومي، فقال: هذا ما لأمير المؤمنين عندي، فرجع عبد الله إلى أبيه عمر فقال: يا أبتاه استكسيتك فأرسلتني إلى الخيار بن رياح فأخرج لي ثياباً ليست من ثيابي ولا من ثياب قومي. قال: فذاك ما لنا عند الرجل، فانصرف عبد الله حتى إذا كاد يخرج ناداه، فقال: هل لك أن أسلفك من عطائك مائة درهم، قال: نعم، يا أبتاه، فأسلفه مائة درهمٍ فلما خرج عطاؤه حوسب بها فأُخذت منه.

٤ ـ **إبراهيم بن عمر**: وأمه أم عثمان بنت شعيب بن زبان بن الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث.

سمع إبراهيم بن عمر أباه يقول لابن شهاب الزهري: ما أعلمك تعرض عليّ إلا شيئاً قد مر على مسامعي إلا أنك أوعى له مني.

قال عمر بن عبد العزيز لبنيه: كيف أنتم إذا وليت كل رجل منكم جنداً، فقال ابنه ابن الحارثية: لِمَ تعرض علينا أمراً لا تريد أن تفعله، فقال: أترون بساطي هذا، إنه صائر إلى بلى، وإني أكره أن تُدَنِّسوه بخفافكم، فكيف أرضى أن تُدَنِّسوا عليّ ديني.

٥ ـ **إسحاق بن عمر**: وأمه فاطمة بنت عبد الملك بن مروان، وقد مات صغيراً.

٦ ـ **يعقوب بن عمر**: وأمه فاطمة بنت عبد الملك بن مروان، فهو شقيق إسحاق، وقد مات صغيراً مثله.

٧ ـ **موسى بن عمر**: وأمه فاطمة بنت عبد الملك بن مروان، فهو شقيق إسحاق ويعقوب، ومات صغيراً أيضاً.

مات ابن وهو صغير لعمر بن عبد العزيز فدخل عليه الناس يُعزّونه، وهو ساكت لا يتكلم طويلاً، حتى قال بعضهم: إن ذا لمن جزع، ثم تكلم فقال: الحمد لله الذي دخل ملك الموت حجرتي فذهب ببعضي فكأنه قد ذهب بي.

٨ ـ **عبد الله الأصغر بن عمر**: وأمه لميس بنت علي بن الحارث.

٩ ـ **بكر بن عمر**: وأمه لميس بنت علي بن الحارث فهو شقيق عبد الله الأصغر.

١٠ ـ **الوليد بن عمر**: وأمه أم ولد.

١١ ـ **عاصم بن عمر**: وأمه أم ولد.

١٢ ـ يزيد بن عمر: وأمه أم ولد.

١٣ ـ زبان بن عمر: وأمه أم ولد.

البنات:

كان لعمر بن عبد العزيز ثلاث من البنات وهن:

١ ـ أم عمار بنت عمر: وأمها لميس بنت علي بن الحارث فهي شقيقة عبد الله الأصغر، وبكر.

٢ ـ أمينة بنت عمر: وأمها أم ولد، ويقال: إنها مرت يوماً أمام أبيها، فدعاها: يا أمين فلم تُجبه، فأمر إنساناً فجاء بها، فقال: ما منعك أن تجيبيني، قالت: إني عارية، فقال: يا مزاحم انظر إلى تلك الفُرُش التي فتقناها، فاقطع لها منها قميصاً، فذهب إنسان إلى أم البنين عمتها، فقال: ابنة أخيك، وأنت عندك ما عندك، فأرسلت إليها بتخت من ثياب وقالت: لا تطلبي من عمر شيئاً.

٣ ـ أم عبد الله: وأمها أم ولد.

الخاتمة

تسلّم عمر بن عبد العزيز المسؤولية سواء الإمارة في المدينة أم الخلافة في دمشق، وعرف معنى ما أوكل إليه فهو مسؤول عن كل عملٍ يقوم به، وذلك يوم الحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين، ويجزى كل إنسانٍ بما قام به إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ.

وعمر بن عبد العزيز ككل مسلمٍ يرجو ثواب الله، ويخشى عقابه، لذا كان يبذل جهده في خدمة الأمة، ويسهر الليالي على مصلحة الرعية، ويردّ المظالم، ويتفقّد الأرامل، واليتامى، والمساكين، ومن لا أحد له إلا الله يرجو بذلك الثواب، ويجتهد في ذلك لينال خير الجزاء. ويبتعد عن الظلم، ويحجم عن التمييز بين الناس يخشى عقاب الله. وكان يوصي عماله دائماً للتقيد بشريعة الإسلام ويحثهم على العدل، وردّ المظالم والإنصاف، وبذل الجهد في العمل.

ويخاف عمر بن عبد العزيز أن يُقصّر في عمله، أو يسهو في حكمه فيُسأل يوم القيامة، وليس له من عذرٍ

أمام العزيز الجبار فالرعية كلها تُطالبه، وكلها خصماء له، ورسول الله ﷺ، يحاجّه في أمته التي قصّر بحقها، وجار في حكمه لها، فينال ما لا يقوى عليه، ويُعاقب بما لا صبر له عليه، لذا يتملّكه الخوف، ولا يغيب عنه حساب ذلك اليوم، فيغلب عليه البكاء.

إن هذا التصوّر الدائم لدى عمر بن عبد العزيز قد مكّنه أن يُعيد التوازن للمجتمع، وأن يعدل في حكمه، وأن يُنصف رعيته، وهذا ما رفعه في الدنيا فأحبّه الناس، وعدوّه من الصالحين، ونرجو أن يكون كذلك، وأن ينال أجره في الآخرة، ويحصل على ما تمنّاه، وعمل له.

لقد عمل نهاره، وأتعب نفسه، وسهر ليله، وبذل جهده حتى يُؤدّي واجبه، وهذه صفة المسؤول المسلم فنرجو أن يكون مثلاً لكل من يحمل مسؤوليةً من المسلمين كي يتحقق للأمة ما تريد كما تمّ لعمر بن عبد العزيز ما رغب. فالأمة بأشدّ الحاجة إلى مسؤولين يعرفون واجباتهم، ويبذلون جهدهم ويضحّون في سبيل ذلك، يتخلّون على مصالحهم في سبيل مصالح الأمة، يتعبون لتطمئن الرعية، يسهرون لينام أفراد المجتمع، يجوعون ليشبع الناس، يتألمون ليسعد الشعب. هكذا كان عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ فهو المثل لمن يريد لأمته السعادة والارتقاء.

مَصَادِرُ الكِتَابِ

- الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، المتوفى سنة ٢٣٠ هـ.
- تاريخ مدينة دمشق: علي بن الحسن «ابن عساكر»، المتوفى ٥٧١ هـ.
- سيرة عمر بن عبد العزيز: عبد الرحمٰن ابن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ.
- سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ.
- البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ.



المُحْتَوى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الثاني

أسرة عمر بن عبد العزيز

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة